72386 — 73864

REGD No. LW/NP 59

ALBAAS - EL - ISLAMI

صدر حديثاً :

كتـــاب

الرضاء عن الله بقضـــائه

تأليف

الحافظ ابن أبي الدنيا

المتوفى ٢٨١هـ

تحقيق

ضياء الحسن السلفي

الناشر :

الدار السلفيـــــة

٢٤٢ شارع بلاسس - بومباي ٤٠٠٠٠٨ (الهنـــد)

قام بالنشر و التوزيع جميل أحمد الندوى من مؤسسة الصحافة و النشر ندوة العلماء

رئيس التحرير : سعيد الأعظمى

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

شعارنا الوحيد المحال الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

العـــدد العـــاشر — المجـــلد ٣٥

رجب ١٤١١هـ

يناير و فبراير ١٩٩١م

تصدرها مؤسسة الصحافة والنشر

نداء إلى قرائنا الكرام

نحمد الله سبحانه وتعالى على أنه وفقنا للمضى قدما بمجهود متواضع فى مجال البعث الاسلامى و نرجوه تعالى أن يكرمنا بالثبات و الاستقامة و الصمود فى هذه الجبهة الدقيقة التى نريد أن نكون فيها مرابطين على الثغر و نودى واجبنا — بتوفيق من الله تعالى — بكل ما نستطيعه من قوة و إخلاص وهمة وصبر و بدافع من الولاء الكامل للاسلام .

و بالمناسبة نرجو منك — أيها القارىء الكريم — أن تشعر ببعض واجبك نحو مجلتك وتتطوع ببذل شىء من وقتك ومالك فى سبيلها وذلك بتوفير اشتراكات وكسب عدد من القراء أو إنشاء وكالة لها فى بلدك و مجتمعك الذى تعيش فيه، أو بأى طريق مما تراه مفيداً للمجلة، فسيكون ذلك تعاوناً كبيراً منك فى سبيل دعم الكلمة ونشر العقيدة وتأييد الحق، وتشجيعاً منك لاخوة لك فى العقيدة و الدين ، يعيشون معك على طول الخط وعلى بعد الديار و تنائى الأمصار .

نرجو أن لايفوتك الاهتمام بهذا الموضوع الاسلامى المهم وتتصل بنا على عنوان المراسلات ! و جزاؤك على الله الذى لا تنفد خزائنه .

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : ستون روية

ثمن النسخة ست رورييات :

★ فى العالم العربى وفى جميع دول العالم .

١٨/ دولاراً بالبريد العادى،

و ٣٥/ دولاراً بالبريد الجوى.

★★★★★★★★★★★★★★

عنوان المراسلات :

★★★★★★★

مكتب البعث الاسلامى .

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكناؤ (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o. NADWAT UL ULAMA
P. O. Box : No. 93.
Lucknow. (INDIA)

★ المجلة لا تتقيد بكل فكر لكل كاتب ، ينشر فيها .

أنشأها :

فقيد الرحمة العلامة الأستاذ محمد الحسنى رحمه الله

فى عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م

البعث الإسلامى

رئيسة التحرير

سعيد الأعظمى الندوى

واضح رشيد الندوى

★ رجب ١٤١١هـ

★ يناير و فبراير ١٩٩١م

★ العدد العاشر

★ المجلد الخامس والثلاثون

المراسلات

البعث الإسلامى ، مؤسسة الصحافة والنشر ، ص.ب ٩٣ ـ لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulema
P. O. Box 93, Lucknow (INDIA)

فى هـذا العـدد

★ الافتتاحيـــــــــة

الفلسفات المادية فى حالة الانهيار و لا مكان لها فى قائمة الانتظار — سعيد الأعظمى — ٣

★ التوجيـــــــــه الاسلامى

مسئولية الدعاة والمفكرين نحو إيجاد الوعى فى الأمة — سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى — ١٠

« بين ابن تيمية و زويمر » — دكتور محمد بن سعد الشويعر — ١٧

★ الاعوة الاسلاميـــــــــة

ابن القيم ، حياته و آثاره — دكتور توفيق محمد شاهين — ٢٥

أسلمة التعليم تتكفل بالتقدم فى كل مجال — معالى الدكتور محمد عبده يمانى — ٣٤

★ الفقـــــــــه الاســـــلامى

الطريق إلى حل القضايا المعاصرة . . . — الأستاذ محمد خالد سيف الله الرحمانى — ٤٠

« العرف و العادة » فى ضوء الشريعة الاسلامية — الأستاذ عتيق أحمد القاسمى — ٤٩

★ دراســـــات و أبحـــــاث

الفلسفات الغربية و ارتباطها بمنهج الفرد والمجتمع — الأستاذ الأديب أنور الجندى — ٥٨

مكانة الدراية فى رواية الحديث. — الأستاذ محمد خالد الندوى — ٦٧

★ الثقافـــــة الاسلامية فى الهنـــــد

التفسير و المفسرون — دكتور يونس النجرامى — ٧٥

حيدر آباد تواجه أزمة هوية — دكتور صفر الاسلام خان — ٨٤

★ صور و أوضـــــــــاع

ديناميكية الاسلام و مسئوليات المسلمين — واضح رشيد الندوى — ٩٠

★ رجـــــــل فقـــــــدناه

فضيلة الشيخ أبو الليث الندوى فى ذمة الله — سعيد الأعظمى — ٩٣

الشيخ محمد محسن أحمد الندوى فى ذمة الله تعالو — « « — ٩٧

★ أخبار علميـــــة و ثقافيـــــة

نفى خبر نشر فى « الأهرام » — ٩٨

رسالة حول قضية المسجد البابرى — ٩٩

العدد القادم — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتـــــاحية :

الفلسفات المادية فى حالة الانهيار و لا مكان لها فى قائمة الانتظار

فى حفلة ترحيبية عقدتها ندوة العلماء ترحيباً بوفد إسلامى سوفياتى يزور مراكز الدعوة و التعليم الاسلامى فى الهند ، ألقى بعض أعضاء الوفد كلمة أبدى فيها الارتياح الكبير على ما تيسر - بمشيئة الله تعالى - لمسلمى هذا البلد من استئناف نشاطهم الدينى و الدعوى ، و ذلك بعد فترة طويلة قضوها وراء الستار الحديدى و فى ظروف من الضغط و الخوف ، و فى انقطاع عن كل ما يسمى بالعقيدة و ينتمى إلى الدين .

و جاء فى الكلمة التى ألقاها سماحة رئيس ندوة العلماء العلامـــة السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى بهـــذه المناسبة ترحيباً بالوفد الاسلامى ، تنويه بالأرض الميمونة التى ينتمى إليها هذا الوفد الاسلامى ، و التى أنجبت أعـــلام التاريخ الاسلامى و أئمة العلوم الاسلامية من المحدثين و الفقهـاء و القادة ممن تدين بهم الأمة فى إسلامها و عقائدها و علومها ، و قد وجه سماحته أعضاء الوفد إلى ما أكرمهم الله به من إعادة الاسلام إليهم بعـــد ما كان محظوراً عليهم ، و أكد أن ذلك فرصة غالية تتطلب منهم أن ينتهزوها فى صالح الدعوة الاسلامية و لكن بغاية من الحكمة و الموعظة الحسنة .

و قد لفت أنظارهم إلى النقاط المهمة بوجه خاص :

١ــ القيام بتعريف الاسلام إلى الناس على نهج جماعات الدعوة الاسلامية وعلى

مستوى القرى و المناطق والمدن بطريق الجولات و الاجتماعات والدروس، و بذلك يتمكنون من إثارة الغيرة الايمانية فى القلوب و الشعور الدينى فى المجتمعات الانسانية ، فان ذلك عمل أساسى فى مجال التعريف بالاسلام .

٢ — إعداد جيل إسلامى يكون بناؤه قائماً على الوعى الدينى ، و وضع نظام خاص بتعليمه و تربيته الدينية ، مع مراعاة الأعمار والبيئات و الأوضاع ، و ذكرهم بأن أهم شىء فى هذه التربية و الاعداد ، إنما هى العقيدة الراسخة السليمة التى لا تسمح بأى مداهنة أو مرونة فى أى حال ، وقال لهم : لا بأس فيما إذا توسعتم فى اتخاذ الوسائل اللازمة لهذا الغرض و استخدام الأدوات المطلوبة فى دعمه .

٣ — العاطفة الخالصة — مع الرسوخ فى العقيدة — لحب النبى ﷺ الذى أتى إلينا بنعمة الاسلام الخالدة من عند ربه ، و منحنا قدوة فى الحياة ، وكان فيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و ذكر الله كثيراً .

فذلك هو السور الذى يحمى هذا الجيل المسلم باذن الله تعالى من كل غائلة حضارية و اجتماعية و إلحادية ، و لقد كان ما قيل فى حماية عاطفة الحب للنبى ﷺ من الشعر الجميل فى بلادنا الهند دليلا على أن طبيعة الحب للنبى ﷺ لا تفارق العقيدة الصحيحة ، فأرجو منكم العناية بهذا الجانب المهم و هو تنمية عاطفة الحب للاسلام و نبى الاسلام ، كما لفت أنظارهم فى الأخير إلى دراسة المنهج التعليمى الذى وضعته ندوة العلماء لتعليم اللغة العربية و العلوم الاسلامية ، وعساه يفى بحاجتهم فى مجال التعليم الاسلامى إلى حد كبير » .

قدر لهذا البلد العريق فى الأمجاد الاسلامية أن ينتفض انتفاضة إيمانية و يحطم سلاسل الالحاد الشيوعى و أغلال العبودية الثقيلة ، و يعود إلى طبيعته الأصلية و طابعه الايمانى ، وذلك ما جعل زعماء الشيوعية يفيقون من سكرهم ، ولقنتهم التجارب الطويلة دروساً قاسية ، التجارب التى أجروها فى مجال تطبيق فلسفة الالحاد

الشيوعية على مجتمعات بشرية عديدة ، وتجريد الانسان عن الضمير الحى ، وفطرة الدين ، و توزيع العالم بين معسكرين — الشرق الشيوعى و الغرب الرأسمالى .

إن صلف المعسكر الشيوعى طغى على القيم و المثل العليا و لم يبال بما إذا عرى الانسان عن جميع ميزاته ، و قرر أنه حيوان ناطق وحسب ، و قد رفض أن يكون له روح أو ضمير و أن تكون له إلى رعايتهما حاجة ، و إنما الحياة للعمل فى المصانع والمزارع والأسواق ، أما القلب و العاطفة فلا مكان لهما فى فلسفة الشيوعية المادية ولا قيمة ، و لقد كان مفكرو الشيوعية و زعماؤها أمثال كارل ماركس و لينين يربطون الحياة الانسانية بالعوامل الاقتصادية وحدها و يلغون فوارق الطبقات و الملكية الشخصية ، و الدين و الأخلاق ، بجرة قلم واحدة ، كانوا يزعمون أنهم منحوا العالم البشرى فلسفة حياة لم تدركها العقول إلى الآن ، ولا كان لها قبل بمثلها ، و لقد اغتر العالم بيريقها الظاهر وظنت مجتمعات كثيرة أنها آخر محاولة لتوفير الرفاهية و السعادة للحياة الانسانية ، و ليس بعدها ما يحتاج إليه الناس فى مجال السعادة والمساواة الاقتصادية و الاجتماعية و إلحاق الطبقة الكادحة بطبقة الحكام لكى تتم به المساواة و العدالة ، كما يزعمون .

لم تلق هذه الفلسفة المادية ، أى نجاح فى أى فترة من تاريخها ولم تعش إلا ما يقارب سبعين عاماً بين رفض و فرض ، و إنكار و إلزام ، حتى إذا كان الجهاد الاسلامى فى أفغانستان حيث أذاق المجاهدون المسلمون الجنود السوفيات من عذاب الخوف و الذعر و الهزيمة ما يعلمه العالم كله ، و تجلت لهم مظاهر النصر و الغلبة رغم قلة عددهم و ضآلة وسائلهم و كثرة العدد و العدد لدى هؤلاء الجنود المسلحين بأحدث الأسلحة و العتاد الحربى ؟ هنالك علم الشعب السوفياتى ما للدين من قوة و ما للايمان من شأن عظيم و معجزة باهرة تصنع التاريخ و تنقذه من تفسيره المادى الذى اعتمدته الفلسفة الماركسية ، و أسست عليه وجهة نظر الشيوعية ، وقد انهارت مع انهيار الجنود السوفيات فى أفغانستان و انسحابهم عنها مهزومين مدحورين .

كان هذا الواقع هو مبدأ اندحار الشيوعية و انهيار فلسفتها بحيث لم تقم لها قائمة، و أخيراً آذنت بالرحيل من المجتمعات البشرية وحلت محلها فكرة «بيروسترويكا» الحركة الاصلاحيـــة التى أعلنت عن «إعادة البناء» و هيأت للناس متنفساً فى الاتحاد السوفياتى و توابعـــه من الدول، حتى أزيح الستـار الحديدى و انكمش الحصار الفكرى و نادى المسلمون بالدين، وفتحوا المساجـــد التى صودرت أيام الحكم الشيوعى، و عمروها و أقاموا فيها شعائر الاسلام، و خرجو إلى عالم العقيدة الأوسع و تنفسوا الصعداء، و عادت أرض أمير المؤمنين فى الحديث محمد بن اسماعيل البخارى وغيره من المحدثين العظام و الأئمة الأعلام فى الفقه و الحديث و الأصول و التاريخ، إلى الاسلام من جديد، و بدأ التاريخ يعيد نفسه، و يبذر بذور الايمان و العقيدة و الدعوة و العلم فى ربوع هذه الأرض وجعلت قوافل الحق و الدعوة الاسلامية تنطلق نحو العالم توكد له أن لاداعى لليأس فان الصحوة الاسلامية تكتسح موجاتها الجبال و البحار و تحطم حواجز القـارات و المحيطات، و تحولها إلى جبهات موسعة للدعوة إلى الله و إعلاء كلمـــة الله، و تعريف العالمين بأن الاسلام هو الملجأ الوحيـــد من كل غائلة و مصيبة، و من كل استعمار فكرى و عقدى، و من كل استعباد نفسى و جسدى.

أخفقت فلسفة ماركس فى مهدها و أصبحت أثراً بعد عين، ولم يجد أهلها مفراً إلا إلى الدين و العقيدة، و ذلك هو مصير كل حركة أو دعوة تقوم على أساس منتزعزع من الفكر الانسانى الذى يفقـد الأصالة و يعتمد على النعرات المحلية و الهتافات الأقليمية، لقد تبجح الغرب المادى بالفلسفات المادية و النظرات العنصرية وظن أنه هو المنقذ الأول و الوحيد للانسان البائس المقهور من مهاوى الذل و العجز و الفقر و المرض، على أن الرؤية الغربية نحو الكون و الحيـاة و الانسان لا تعدو الأغراض المادية إلى شئ آخر من القيم و الفضائل و العلاقات الطاهرة بين الانسان و ربه و بين الانسان و الانسان، و لقد درج الغرب على

تقديس العلاقات المادية و تفسير التـاريخ الانسانى بالمفاهيم المادية مع الاغفـال للعوامل المعنوية و الخلقية الأخرى التى أثرت فى التاريخ و منحت الانسان مكانة ممتازة فريدة بين الخلق كله.

لم تكن جناية هذه الفلسفات المادية أنها فصلت الحياة الانسانية عن مفهومها الخلقى الروحانى و هبطت بها إلى حضيض من الشهوات و الأغراض النفسانية فحسب، بل و أكبر جنـاية اعتمدتها و ركزت عليها أنهـا قطعت صلة الانسان عن منبع الايمان الثر، و شغلته بالأهواء و المطالب الرخيصة التى تحرمه العواطف الانسانية النبيلة و الدوافع الخيرة من الحب و الفضيلة و الطهر و العفاف، و تقيمـه فى صف البهائم و الأنعام، فيفكر كما تفكر البهائم و يعيش كما تعيش، ولا يتميز عنها إلا بالعقل المادى، ولا يهتم إلا بالمحسوسات المادية وحدها، و بالجوانب الظاهرة التى تساعده فى زيادة الثروات و المواد البراقة من الحياة الدنيا و الاطمئنان إليها، دون أن تكون لديه قيمة للمثل الخلقية و الفضائل الانسانية، و دون أن يقلقه فساد فى الأخلاق و الأوضاع، أو هبوط فى الأحوال و الأعمـال، ذلك أن تصور الدين و الاله عنده محدود إلى أبعد حد، فليس لهما إلا مكانة نسبية ضئيلة يلتجئ إليها الانسان لدى الحـاجة و فى أوقات الفراغ.

جرب الناس كل الفلسفـات المادية و الجدلية، و النظرات الاشتراكية و الرأسمالية، و طبقوها على الحياة و المجتمع، ليعيشوا فى ظلها آمنين مطمئنين، و يجنوا منها ثمار العيش الحلوة و نتاج السعادة و الرفاهية، و لـكنهم لم يرجعوا عنها إلا بخفى حنين، فلا سعادة، ولا أمن ولا رفاهية، ولا راحة الضمير، لا فى الحياة الفردية ولا الجماعية، ولا على مستوى الرعية ولا الحاكم، إنما هى متاعب و مخاوف و مخاطر و أحزان، و انتهازية و استغلال و إهانة و تجريح، و كل نوع من أنواع الرذائل بألوانها المختلفة.

لقد ظهر زيف هذه الفلسفات و الاتجاهات المادية كلها كالشمس فى رابعة

النهار . ولم يعد لها أمل فى العودة إلى مناصبها الأولى ، و خاصة بعد ما أعلن عن إخفاق الشيوعية العلمانيـــة فى الاتحاد السوفياتى ، انحسرت ظلالها و قصرت قامتها ، و طفق الناس يخلعون لباسها و يستبدلونه بخلع مادية أخرى ، باحثين عن ملجأ يأوون إليه فراراً من الشقاء المستمر الذى لحقهم على طول الطريق ، فأخسرهم لذة الحياة و حتى متعة العيش المادى (و لنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) .

إلا أن زعماء الحضارات و الفلسفات المادية لم يتعظوا بالمصير المشئوم الذى واجهم فى رحلتهم المادية الفـاشلة ، و بدأوا يتآمرون على الاسلام و المسلمين و ديارهم و مقدساتهم ، بأساليبهم الماكرة و مخططـاتهم الدقيقة ، و ذلك بالغزو العسكرى و الاستعمارى حيناً و بالتدخل الحضـارى حيناً آخر ، و قد تفـاقم الحقد الصليبى و الصهيونى و البغض المجوسى الكافر إلى أنه جعل يستهدف مقدسات المسلمين و مراكز دينهم الحساسة و يحتل بها انتقاماً من المسلمين و أملا فى حسر المد الاسلامى فى نطاق ضيق محدود ، باعتبار أن هـــذه المقدسات هى المنطلق القوى لقوة الاسلام و تياره العنيف .

إن عجلة الصراع بين الكفر و الاسلام و بين الحق و الباطل تدور اليوم حول مصانع الاسلام المقدسة التى تصنع العقيدة و تصوغ العاطفة و تعلم المسلم صناعات الايمان و الأخلاق و الطهر و العفاف و الشهادة فى سبيل الله ، و لذلك فان جميع القوى الحاقدة و التجمعات الكافرة تتضافر اليوم على هدم هذه المصانع المقدسة ، و تحويلها إلى كومة من خراب و دمار ، ذلك لكى ينقطع المسلم عن مصدر قوته و منبع إيمانه و عقيدته ، فينطفئ نور الله ، و يتخبط المسلمون فى ظلام الكفر خبط عشواء ، و ينفسح المجـال لهذه القوى الطاغية الحاقدة لتدمير معنويتهم و هدم عقيدتهم (و الله متم نوره ولو كره المشركون) (و يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) ؟

سعيد الأعظمى

التوجيه الاسلامى

مسئولية الدعاة و المفكرين نحو إيجاد الوعى فى الأمة

سماحة العلامة السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

إيجاد الوعى فى الأمة :

إن أخوف ما يخاف على أمة و يعرضها لكل خطر و يجعلها فريسة للنافقين و لعبة العابثين، هو فقدان الوعى فى هذه الأمة، و افتتانها بكل دعوة، و اندفاعها إلى كل موجة، و خضوعها لكل متسلط و سكوتها على كل فظيعة و تحملها لكل ضيم، و أن لا تعقل الأمور و لا تضعها فى مواضعها و لا تميز بين الصديق و العدو و بين الناصح و الغاش، و أن تلدغ بجحر مرة بعد مرة ولا تنصحها الحوادث، ولا تروعها التجارب، ولا تنتفع بالكوارث، ولا تزال تولى قيادها من جربت عليه الغش و الخديعة و الخيانة و الأثرة و الأنانية و الجبن و العجز، و الخرق و الطيش، و كان سبباً للهزيمة و الذلة، ولا تزال تضع ثقتها فيه و تمكنه من نفسها و أموالها و أعراضها و مفاتيح ملكها، و تنسى سريعاً ما لاقت على يده من الخسائر و النكبات فيجترىء بذلك السياسيون المحترفون، و القادة الخائنون، و يأمنون سخط الأمة و محاسبتها و يتمادون فى غيهم و يسترسلون فى خيانتهم و عبثهم، ثقة ببلاهة الأمة و سذاجة الشعب و فقدان الوعى.

إن الشعوب الاسلامية و البلاد العربية — مع الأسف — ضعيفة الوعى — إذا تحرجنا أن نقول : فاقدة الوعى — فهى لا تعرف صديقها من عدوها ولا تزال تعاملهما معاملة سواء أو تعامل العدو أحسن مما تعامل الصديق الناصح، و قد يكون الصديق فى تعب وجهاد معها طول حياته بخلاف العدو، ولا تزال

تلدغ بجحر واحد ألف مرة و لا تعتبر بالحوادث و التجارب، و هى ضعيفة الذاكرة سريعة النسيان تنسى ماضى الزعماء و القادة، و تنسى الحوادث القريبة و البعيدة، وهى ضعيفة فى الوعى الدينى و الوعى الاجتماعى و أضعف فى الوعى السياسى، و ذلك ماجر عليها ويلا عظيماً و شقاء كبيراً و سلط عليها القيادة الزائفة و فضحها فى كل معركة.

إن الأمم الأوروبية — برغم إفلاسها فى الروح و الأخلاق و برغم عيوبها الكثيرة — قوية الوعى — الوعى المدنى و السياسى — و قد بلغت سن الرشد فى السياسة، و أصبحت تعرف نفعها من ضررها، و تميز بين الناصح و الخادع، و بين المخلص و المنافق، و بين الكفؤ و العاجز، فلا تولى قيادها إلا الأكفاء الأقوياء الأمناء، ثم لا توليهم أمورها إلا على حذر، فاذا رأت منهم عجزاً أو خيانة أو رأت أنهم مثلوا دورهم و انتهوا من أمرهم، استغنت عنهم و أبدلت بهم رجالا أقوى منهم و أعظم كفاءة و أجدر بالموقف، ولم يمنعها من إقالتهم أو إقصائهم من الحكم ماضيهم الرائع و أعمالهم الجليلة و انتصارهم فى حرب، أو نجاحهم فى قضية، و بذلك أمنت السياسيين المحترفين، و القيادة الضعيفة أو الخائنة، و خوف ذلك الزعماء، و رجال الحكم، و كانوا حذرين ساهرين يخافون رقابة الأمة و عقابها وبطش الرأى العام (١).

فمن أعظم ما تخدم به هذه الأمة و تؤمن من المهازل و المآسى التى لا تكاد تنتهى، هو إيجاد الوعى فى طبقاتها و دهمائها و تربية الجماهير التربية العقلية و المدنية و السياسية، ولا يخفى أن الوعى غير فشو التعليم و زوال الأمية و إن كانت هذه الأخيرة من أنجح وسائلها، و ليعرف الزعماء السياسيون و القادة أن الأمة التى يعوزها الوعى غير جديرة بالثقة ولا تبعث حالتها على الارتياح و إن أطرت الزعامة

(١) و أحدث مثال لذلك : استقالة تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا.

و الزعماء و قدستهم ، فانها — ما دامت ضعيفة الوعى — عرضة لكل دعاية و تهريج و سخرية كريشة فى فلاة تلعب بها الرياح ولا تستقر فى مكان .

استقلال البلاد العربية فى تجارتها و ماليتها :

و كذلك لابد للعالم العربى — كالعالم الاسلامى — من الاستقلال فى تجارته و ماليته و صناعته و تعليمه ، لا تلبس شعوبه و جماهيره إلا ما تنبته أرضه و تنسجه يده ، و تستغنى عن الغرب فى جميع شئون حياتها ، و فى كل ما تحتاج إليه ، من كسوة ، و طعام ، و بضائع ، و مصنوعات ، و أسلحة و جهاز حربى ، و آلات وماكينات ، و أدوية ، فلا تكون كلا على الغرب و عيالا عليه فى معيشتها و متطفلة على مائدته .

إن العالم العربى لا يستطيع أن يحارب الغرب — إذا احتاج إلى ذلك و دعت إليه الظروف — وهو مدين له فى ماله ، عيال عليه فى لباسه و بضائعه ، لا يجد قلماً يوقع به على ميثاق مع الغرب إلا القلم الذى صنع فى الغرب ، و لا يجد ما يقاتل به الغرب ، إلا الرصاص الذى أفرغ فى الغرب ، إن عاراً على الأمة العربية أن تعجز عن الانتفاع بمنابع ثروتها و قوتها ، و أن يجرى ماء الحياة فى عروقها و شرايينها إلى أجسام غيرها ، و أن يدرب جيوشها وكلاء الغرب و ضباطه ، و يدير بعض مصالح حكومتها رجاله ، فلابد للعالم العربى أن يقوم هو نفسه بحاجاته : تنظيم التجارة و المالية ، و حركة التوريد و التصدير ، و الصناعة الوطنية ، و تدريب الجيش ، وصنع الآلات و الماكينات و تربية الرجال الذين يضطلعون بجميع مهمات الدولة و وظائف الحكومة فى خبرة و مهارة فنية ، و أمانة و نصيحة .

رجاء العالم الاسلامى فى العالم العربى :

و العالم العربى بمواهبه و خصائصه و حسن موقعه الجغرافى و أهميته السياسية ،

يحسن الاضطلاع برسالة الاسلام ، و يستطيع أن يتقلد زعامة العالم الاسلامى ، و يزاحم أوربا بعد الاستعداد الكامل ، و ينتصر عليها بايمانه و قوة رسالته ونصر من الله ، و يحول العالم من الشر إلى الخير ، و من النار و الدمار إلى الهدوء و السلام .

إلى قمة القيادة العالمية :

ما أعظم التطور الذى حدث فى تاريخ العرب على إثر بعثة محمد ﷺ و نادت به سورة الاسراء و قصة المعراج فى لغة صريحة بليغة وفى أسلوب مبين مشرق (١) و ما أعظم النعمة التى أسبغها الله على العرب ، نقلهم من جزيرتهم التى يتناحرون فيها إلى العالم الفسيح الذى يقودونه بناصيته ، و من الحياة القبلية المحدودة التى ضاقوا بها ، إلى الانسانية الواسعة التى يشرفون عليها و يوجهونها ، و أصبحوا بفضل هذا التطور العظيم الذى فاجأ العرب و فاجأ العالم ، يقولون بكل وضوح و شجاعة لامبراطور المملكة الفارسية العظيمة و أركان دولته : « الله ابتعثنا ليخرج لنا من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الاسلام » .

نعم لقد خرجوا من ضيق الدنيا أولا إلى سعتها ثم أخرجوا الأمم من ضيق الدنيا إلى سعتها آخراً ، وهل أضيق من الحياة القبلية و الجنسية ، و أوسع من الحياة الانسانية الواسعة الآفاق ؟ وهل أضيق من الحياة التى لا يفكر فيها إلا فى المادة الزائلة و الحياة الفانية ولا يجاهد إلا فى سبيلها ، من الحياة الايمانية الروحانية التى لا نهاية لها ولا تحديد ؟ !

لقد خرجوا من ضيق جزيرة العرب ، و من ضيق الحياة فيها ، و من ضيق

(١) تضم سورة الاسراء قصة المعراج إعلانات بأن محمداً ﷺ هو نبى القبلتين و إمام المشرقين و المغربين و وارث الأنبياء قبله و إمام الأجيال بعده .

التفكير فى مسائلها و مصالحها، و من ضيق التناحر على سيادتها، و من ضيق التكالب على حطامها القليل و ملكها الضئيل و عيشها الذليل ، إلى عالم جديد من السيادة الروحية و الخلقية و العلمية و السياسية ، ليس الدانوب الفائض و النيل السعيد و الفرات العذب و السند الطويل ، إلا سواقى حقيرة و ترعاً صغيرة فيه، وليست جبال الألب و البرانس و عقاب لبنان وقمم هماليا، إلا تلالا متواضعة و سدوداً صغيرة ، وليست البلاد الواسعة كالهند و الصين و تركستان ، إلا أحياء ضيقة و حارات صغيرة، ونقطاً مغمورة فى هذا العالم ، وليست هذه الأرض كلها — إذا نظر إليها من ارتقى إلى قمة هذه السيادة — إلا خريطة صغيرة ملونة يراها الطائر المحلق فى السماء ، وليست الأمم الكبيرة — مع ثقافتها و حضاراتها و آدابها — إلا أسراً صغيرة فى أمة كبيرة .

لقد قام العالم الكبير على أساس العقيدة الواحدة، و الايمان العميق و الصلة الروحية القوية ، و كان أوسع عالم عرفه التاريخ ، و كانت الشعوب التى تكون هذا العالم ، أقوى أسرة عرفها التاريخ، تنصهر فيها الثقافات المختلفة ، و العبقريات المتنوعة ، فتكون منها ثقافة واحدة هى الثقافة الاسلامية ، التى لم تزل تظهر فى نوابغ الاسلام الذين لا يحصيهم عدد ، و فى المآثر الاسلامية — بين علمية و عملية — التى لا يستقصيها التاريخ .

لقد كانت — ولا تزال — قيادة هذا العالم بجدارة و استحقاق ، أشرف قيادة و أعظمها و أقواها فى تاريخ الزعامة و القيادة ، و قد أكرم الله بها العرب لما أخلصوا لهذه الدعوة الاسلامية و تفانوا فى سبيلها ، فأحبهم الناس فى العالم حباً لم يعرف له نظير ، و قلدوهم فى كل شئ تقليداً لم يعرف له نظير ، و خضعت للغتهم اللغات ، و لثقافتهم الثقافات ، و لحضارتهم الحضارات ، فكانت لغتهم هى

لغة العلم و التأليف فى العالم المتمدن من أقصاه إلى أقصاه ، وهى اللغة المقدسة الحبيبة التى يؤثرها الناس على لغاتهم التى نشأوا عليها . و يؤلفون فيها أعظم مؤلفاتهم و أحب مؤلفاتهم ، و يتقنونها كأبنائها و أحسن ، و ينبغ فيها أدباء و مؤلفون يخضع لهم المثقفون فى العالم العربى و يقر بفضلهم و إمامتهم أدباء العرب و نقادهم .

وكانت حضارتهم هى الحضارة المثلى التى يتمجد الناس و يتظرفون بتقليدها ، و يحث علماء الدين على تفضيلها على الحضارات الأخرى و يطلقون على كل ما يخالفها من الحضارات — « اسم الجاهلية » و « العجمية » و ينهون عن اتخاذ شعائرها و مظاهرها .

و بقيت هذه القيادة الشاملة الكاملة مدة طويلة و الناس لا يفكرون فى ثورة عليها ، و فى التخلص منها كما هى عادة المفتوحين و الأمم المغلوبة على أمرها فى كل عهد ، لأن صلتهم بهذه القيادة ليست صلة المفتوح بالفاتح أو المحكوم بالحاكم أو الرقيق بالسيد القاهر ، إنما هى صلة المتدين بالمتدين ، وصلة المؤمن بالمؤمن ، و على الأكثر إنما هى صلة التابع بالمتبوع الذى سبقه بمعرفة الحق و الايمان بالدعوة و التفانى فى سبيلها، فلا محل للثورة . ولا محل للتذمر، ولا محل لنكران الجميل ، إنما اللائق أن يعترفوا لهم بالفضل ، وتلهج ألسنتهم بالشكر و الدعاء ، و أن يقولوا : « ربنا اغفرلنا و لاخواننا الذين سبقونا بالايمان و لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم » (١) .

و هكذا كان ، فقد ظلت هذه الأمم المفتوحة تعتبر العرب المنقذ من الجاهليه و الوثنية ، و الداعى إلى دار السلام ، و القائد إلى الجنة ، و المعلم و الأستاذ فى الأدب .

(١) سورة الحشر : ١٠ .

هذه هى القيادة العالمية التى هيأتها البعثة المحمدية، و أعلنتها سورة الاسراء، وهى القيادة التى يجب أن يحرص عليها العرب أشد الحرص، و يعضوا عليها بالنواجذ، و يسعوا إليها بكل ما أوتوا من مواهب و يتواصى بها الآباء و الأبناء، ولا يجوز لهم — فى شريعة العقل و الدين و الغيرة — أن يتخلوا عنها فى زمن من الأزمان، ففيها عوض عن كل قيادة مع زيادة، و ليس فى غيرها عوض عنها و كفاية، وهى القيادة التى تشمل جميع أنواع القيادة و السيادة، وهى تسيطر على القلوب و الأرواح، أكثر من سيطرتها على الأجسام و الأشباح.

إن الطريق إلى هذه القياده ممهدة ميسورة للعرب، وهى الطريق التى جربوها فى عهدهم الأول، الاخلاص للدعوة الاسلامية و احتضانها و تبنيها و التفانى فى سبيلها و تفضيل منهج الحياة الاسلامى على جميع مناهج الحياة».

و بذلك — من غير قصد و إرادة لنيل هذه القيادة و تبوئها — تخضع لهم الأمم الاسلامية فى أنحاء العالم، و تتهالك على حبهم و إجلالهم و تقليدهم، و بذلك تنفتح لهم أبواب جديدة و ميادين جديدة فى مشارق الأرض و مغاربها، الميادين التى استعصت على غزاة الغرب و مستعمريه و ثارت عليه، و تدخل أمم جديدة فى الاسلام، أمم فتية فى مواهبها و قواها و ذخائرها، أمم تستطيع أن تعارض أوربا فى مدنيتها و علومها إذا وجدت إيماناً جديداً، و ديناً جديداً، و روحاً جديدة و رسالة جديدة.

« بين ابن تيمية و زويمر

بقلم : دكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الاسلامية

وجهان متضادان، كان لهما على مسرح الأحداث صولة و جولة : الأول فى الارتباط بدين الله، و الحرص على التصدى لأعدائه من أصحاب الشبهات وهو ابن تيمية، و الثانى زويمر الذى عرف بعداوته للاسلام و تزعمه قوافل التبشير، و انتقاله من مكان لمكان لجمع التبرعات، و تركيز دعائم التبشير.

و يشاء الله أن يجتمع لهذين المتضادين أتباع و أشياع، فى ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، ليستمر الصراع فى أقصى الغرب، كما بدأ فى ديار الشرق، و مهد الاسلام.. فأصبح زويمر مدافعاً الآن بدل أن كان مهاجماً منذ أكثر من نصف قرن، و أصبح ابن تيمية رحمه الله مهاجماً الآن، بدل أن كان مدافعاً كيد الصليبيين، و مكائد المغول، و هجمات المناوئين لشرع الله و سنة رسوله ﷺ فى القرن السابع الهجرى.

و هذه بشائر خير، يجب أن يتقوى بها المسلمون، و يستمد منها الدعاة بما يعينهم على المسيرة، و ينمى فيهم حب الاستمرار، و مواصلة الدفاع عن دين الله، رغبة فيما وعد الله به، و تحقيقاً للوفاء بالعهد فى تبليغ شرع الله..

فى ولاية كاليفورنيا أنشأ المسلمون هناك، منذ ثلاثة أعوام مركزاً إسلامياً اختاروا له اسماً، هو اسم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية، تيمناً بأن يكون لهذا المركز جهود فى سبيل الدعوة إلى الله، و ذات أثر فى المحيط الذى بدأ يتكاثر فيه المسلمون من الأميركيين هناك، ولعل القائمين عليه يأخذون من جهود ابن تيمية رحمه الله، و صبره فى سبيل الدعوة إلى الله، و تحمله فى سبيل ذلك،

حيث ذكر ابن كثير فى تاريخه البداية و النهاية، نماذج من خصال ابن تيمية الفذة، و جهوده التى بانت فى الدعوة إلى دين الله : جهاداً بالنفس ، و مدافعة باللسان و الحجة ، و تحملا فى البدن ، و آثاراً سجلتها كتبه التى تشهد بهمته فى المدافعة عن دين الاسلام ، شبهات المغرضين ، و تهجمات الملحدين . .

ولعل الدافع وراء توسع المراكز هناك ، و منها مركز ابن تيمية ، أن الاسلام — بحمد الله — بدأت دائرته تتسع فى أميركا عموماً ، و فى مراكز الثقل ، و التجمع السكانى ، و خاصة كاليفورنيا التى يقدر عدد المسلمين بها أكثر من ربع مليون ، و عددهم فى الولايات المتحدة يزيد عن ثلاثة ملايين مسلم ، حيث يرى المنصفون أن الاسلام وسيلة كبرى ، لانقاذ المجتمع الأمريكى من مشكلات عديدة ، و فى مقدمتها الجريمة و المخدرات ، اللتان أصبحتا خطراً يهدد عموم المجتمع ، بل المجتمعات التى تحب الأمن فى العالم كله إذ سمعنا أصواتاً تنادى هناك بتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية على المجرمين ، و الاعدام على مروجى المخدرات ، كما رأى كل من يزور تلك الديار ، مسئولين يتلقفون المرشدين المسلمين ، لعلهم يقومون بزيارات للسجون ، ليقوموا بتوجيه الناس فيها إلى مداخل الخير ، و من ثم دعوتهم إلى الاسلام ، لأنه ثبت لديهم بالدليل المحسوس أثره : أن من أسلم صلحت حاله ، و من صلح فى السجن بالاسلام ، لا يعود إليه مجرماً مرة أخرى ، فكان رجال الأمن ، و المهتمون بسلامة المجتمع الأمريكى ، يرون فى الاسلام منقذاً لأميركا ، و بارقة أمل فى القضاء على الجريمة .

لكن المنتمين للعقيدة النصرانية ، و أصحاب المصالح ، و المتعاطفين مع اليهود الذين يبغضون الاسلام و أمله قد غاظهم ذلك الانجذاب الاسلامى ، فنشطت الكنيسة ، و اهتم الدارسون ، و وضعت الأساليب المتوقعة لايقاف الزحف

الاسلامى على العقول الأمريكية ، و ذلك فى حالة دفاع عما سموه خطراً اسلامياً ، فكان معهد زويمر للدراسات الاسلامية ، الذى قام ليستدر عطف الأمريكيين ، و ليثيرهم حماسة و ترغيباً لايقاف زحف الاسلام هناك ، فى نشرات عديدة ، و منها تلك النشرة التى صدرت بتاريخ ٢٨ سبتمبر سنه ١٩٨٧م ، و قد بدئت بهذه العبارة : صديقى العزيز : هل تعلم أن المسلمين فى هذه البلاد ، يحشدون الطاقات كى يهدوا الناس إلى الاسلام ، فى جميع أرجاء أمريكا . .

ثم استمر المنشور فى إثارة الناس نحو الاسلام ، كما عمل منذ عامين القس « سويكر » الذى ملأ وسائل الاعلام بما يثير النفوس ضد الاسلام ، و ليحرض فى دعوة للتشجيع ضد المسلم أحمد ديدات ، عندما حدد يوماً عاماً لمناظرته ، أعلن للملأ حضوراً ، و عبر وسائل الاعلام فى تلك الديار ، ولكن ، و بفضل من الله ، لأن الحق يعلو و لا يعلى عليه ، انقلب الأمر ضد « سويجر » وخسر الجولة ، بل عاقبه الله جل وعلا ، عاجلا بفضيحة اسقطت اسمه و مكانته لدى أبناء ملته ، عندما نوقش علناً و عبر وسائل الاعلام عن تفاصيل فضيحته تلك ، ليعترف بها باكياً ، و الذل و الخزى ، يلاحقانه ، فخسر سمعته و مكانته ، كما خسر الجولة و المال مع ديدات فى مناقشته الله إذ يقول : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ، ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » [الأنفال الآية ٣٦] و زادت تلك المناظرة فى حب الناس هناك لفهم الاسلام ، و دراسة تعاليمه ، و متابعة ما يقوله الناس شرحاً و توضيحاً .

ولعل تحركات معهد زويمر ، جاءت من محاولة التلاعب بعقول الناس هناك ، إذ سموه معهداً للدراسات الاسلامية ، فكان من ترسم القائمين عليه خطى صموئيل زويمر ، الانجليزى الجنسية و المولد و الوطن ، حيث كان زعيماً للتبشير

فى أوائل هذا القرن ، بل طوال ثلثه الأول ، حيث يعتبرونه مخططاً و معلماً ، و خبيراً بمداخل التبشير . .

لكنه اليوم ينتقل من الشرق إلى الغرب ، و ينتقل معه ابن تيمية إلى أقصى بلادهم ، ليقف ابن تيمية و من يسير على درب ابن تيمية ، ممن وقر الاسلام فى قلوبهم ، و استمدوا منهجهم من منهجى التشريع فيه : كتاب الله ، و سنة رسوله ﷺ ، حريصين على مؤازرة الدعوة ، و معاضدة ثلاثة ملايين مسلم ، يتزايد عددهم فى كل يوم ، موقف المجابهة ، ليدخل الاسلام كل ولاية فى أميركا ، بل لتمتد جذوره إلى الشمال فى كندا ، و الجنوب فى أميركا اللاتينية بصمت و هدوء ، و رغبة من الناس ، و اختيار بالانتماء إليه ، و ما ذلك إلا أن الاسلام يخاطب القلوب ، و تعاليمه تريح الأفئدة ، و ارتفاع أصوات النداء من المآذن يبعث فى النفوس إحساساً ، و يجذبها صداه للخير و السلام ، فالناس بطبيعتهم يعشقون الوئام و المحبة ، فوجدوا ما فقدوه فى هذا الدين ، الذى لامست تعاليمه بواطن نفوسهم ، وخلجات أفئدتهم ، لأنها تباعدهم عن الشرور و الآفات ، و الحقد و الكراهية ، و تؤمنهم على أعز ما يملكون . .

لكن القائمين على معهد زويمر ، قد حرصوا على إثارة كوامن الناس ، باسم هذه الشخصية اللامعة فى أفئدتهم ، و ليثيروهم أيضاً على الاسلام و المنتمين إليه ، حتى يكبر الحق فى نفوسهم ، ليحصل من ذلك الفعل رد فعل ، عندما يضعون أمامهم بعض الوقائع مثل قولهم فى أحد منشورات هذا المعهد .

— فى شمال نيومكسيكو كاثوليكى تحول إلى الاسلام . . و من المعروف أن الكاثوليك أشد المسيحيين تعصباً لدينهم .

— فى نيو يورك يحول المسلمون ١١٠٠ هكتار زراعى إلى مجمع اسلامى لتدريب الدعاة .

— مؤسس هذا المجمع يقول : دار الاسلام أسست للامريكيين كى يعلموا حقيقة الاسلام .

— أغلبية المساجد فى لوس انجلوس يقول اتباعها : ننظم أنفسنا حتى تتحول معتقداتنا إلى واقع عملى لتنشئة جيل جديد من الأمريكيين المسلمين .

— المسلمون فى الولايات المتحدة ، يتحركون لأنهم يشعرون بأنهم أقلية دينية غير معروفة .

إنها معلومات تفرح كل مسلم ، لكنها لم تكن مقصودة لذاتها ، و من هنا كان تحرك أمثال هذا المعهد فى الأسلوب مثيراً للعاطفة ، و داعياً للاستجابة وفق ما يريد مؤسسوه ، يقول : روبرت دوجلاس مدير هذا المعهد ، موضحاً جهود معهده ، و مستدراً عطف الناس ، ضمن ذلك المنشور بعد إيراد تلك المعلومات ، وما يؤديه المسلمون من جهود :

— لا يوجد لدنيا فى كاليفورنيا إلا ٦٠ مبشراً عادياً منظمين إلى ١١ فرقة .

— إننا نمارس التبشير مع المسلمين من خلال الصداقات بدل أسلوب الدعوة الصعب لأن القلوب مفتوحة لذلك الحب الدافئ غير المشروط .

— الصبر و الصداقة الحقيقية ، والحب الأصيل ، هى العناصر التى تستعمل كى نصل إلى قلب المسلم الصغير .

— اعتماداً على خبرتنا فى لوس انجلوس ، فقد ابتهلنا كى نبدأ هذا الأسلوب من الدعوة فى المدن الأخرى التى لديها عدد كبير من المسلمين .

— إننا مستعدون و متشوقون للاستجابة لهذا التحدى ، وكى أكون صادقاً معك : النقص فى ميزانيتنا هو السبب الوحيد الذى يعترض سبيلنا .

— كالعادة سنعمل من خلال الكنائس المتواجدة فى المكان لتحويل و تدريب الذين لديهم رغبة خاصة فى تحمل واجب الوصول إلى المسلمين فى عقر ديارهم .

— هل ستكون أحدهم، كم تستطيع أن ترسل لأجل المساعدة فى الوصول إلى العدد المتزايد من المسلمين فى أمريكا، ٢٠ دولاراً، ٥٠ دولاراً، أكثر أو أقل؟؟.

أرجو أن تفعل قدر ما تستطيع.

هذه نماذج من التحديات ضد الاسلام و أهله، و لكن الاسلام لا يضمر العداء بقدر ما يعملون، و لما كانت الحرية الدينية فى الولايات المتحدة مكفولة لكل شخص، فان هذا من نعمة الله على المسلمين أتاح لهم هـذا القانون إثبات وجودهم هناك، مع حرية العبادة، و حرية الدعوة، و حرية تملك المساجد، و إقامة المراكز الاسلامية.. و سوف يهئ الله للاسلام باهتمام أبنائه، وجهود دعاته الشئ الكثير..

فالمجابهة بين ابن تيمية و زويمر، فى الميدان الاسلامى دفاعاً وهجوماً، ستبرز آثارها أكثر فى السنوات المقبلة، إذا حرص المسلمون على الاستفادة من نشرات معهد زويمر لعملهم، إذ هى فكرة مناسبة يأخذ تخطيطات الخصوم، لتكون سهاماً منصوبة نحوهم، لأن الحق أمكن و أبقى، و لأن الاسلام أقدر على مخاطبة العقول، و ترغيب النفوس و إراحتها، علاوة على سرعة قبوله بأقل جهد، إذ النية الصادقة، و سلامة المقصد كافيتان، أما الهداية فمن الله القادر على كل شيء.

يعرفونه كما يعرفون أبناءهم:

لأهل الكتاب من يهود و نصارى مواقف من دعوة رسول الله ﷺ عند بدء الدعوة، تدل على نظرتهم للرسالة ومن جاء بها و أن الشيطان قد طمس عيون الطغاة منهم، فلا يبصرون إلا من زاوية الحقد و الكراهية، و أنار الله قلوب بعضهم، فعرف الحق و اهتدى، وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله فى كتابه:

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، نماذج من ذلك، حيث قال: كان ابن الناطور صاحب إيليا أسقفاً على نصارى أهل الشام، يحدث أن هرقل، حين قدم إيليا أصبح يوماً خبيث النفس، فقال له بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك، قال ابن الناطور: و كان هرقل حزاء ينظر فى النجوم، فقال لهم حين سألوه: إنى رأيت الليلة حين نظرك فى النجوم، أن ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن فى هذه الأمة؟. فقالوا: ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، و أكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم، أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان، يخبر عن رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل، قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب قال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر، ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، و كان هرقل نظيره فى العلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل، على خروج النبى ﷺ و أنه نبى، فأذن هرقل لعظماء الروم فى دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع عليهم فقال: يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح و الرشد، و أن يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبى، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت دونهم، فلما رأى هرقل نفرتهم ويئس من الايمان منهم، قال: ردوهم على، و قال: إنى قلت مقالتى آنفاً أختبربها شدتكم على دينكم فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عليه، فكان هذا آخر شأن هرقل، قال ابن تيمية: قلت و كان هرقل من أجل ملوك النصارى فى ذلك الوقت و قد أخبر غير واحد، أن هذا الكتاب باق إلى الآن عند ذرية هرقل فى أرفع صوان، وأغر مكان يتوارثونه، كابراً عن كابر، وأخبر غير واحد أن هذا الكتاب باق إلى الآن عند ذرية هرقل فى أرفع صوان و أعز مكان،

يتوارثونه كابراً عن كابر، وأخبر غير واحد أن هذا الكتاب باق الآن عند الفنش صاحب نشتاله و بلاد الأندلس يفتخرون به ، و أمر هذا مشهور معروف .

أما شيخ البخارى سنيد فقد روى فى تفسيره قال : لما كتب رسول الله ﷺ إلى هرقل ، فقرأ كتابه وجمع الروم فأبوا عليه قال : فلما كان يوم الأحد لم يحضر أسقفهم الكبير و تمارض ، فأرسل إليه فأبى ، ثم أرسل إليه فأبى ثلاث مرات ، فركب إليه ، فقال له : أليس قد عرفت أنه رسول الله ﷺ قال : بلى . قل : أليس قد رأيت ما ركبوا منى ، فأنت أطوع فيهم منى ، فتعال فادعهم . قال : أو تأذن لى فى ذلك ؟ قال : نعم . قال : أذهب هو ذا أجئ . قال : فجاء بسواده إلى كنيستهم العظمى ، فلما رأوه خروا له سجداً الملك و غيره ، فقام فى المذبح فقال : يا أبناء الموتى ، هذا النبى الذى بشر به عيسى عليه السلام ، و أنا أشهد أن لا إله إلا الله ، و أن محمداً رسول الله ، فنخروا و وثبوا إليه ، فعضوه بأفواههم حتى قتلوه ، قال : وجعلوا يخرجون أضلاعه بالكليتين حتى مات .

من صفات التقليد :

ومما قاله ابن تيمية رحمه الله فى مضمون الحديث : لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشر : إن فى المظهرين للاسلام منافقين ، و المنافقون فى الدرك الأسفل من النار تحت اليهود و النصارى ، فلهذا كان ما ذم الله به هاتين الطائفتين قد يوجد فى المنافقين المنتسبين للاسلام ، الذين يظهرون الايمان بجميع ما جاء به الرسول ، و يبطنون خلاف ذلك ، كالملاحدة و الباطنيين فضلا عمن يظهر الالحاد منهم ، و يوجد بعض ذلك فى أهل البدع ممن هو مقر بعموم رسالة النبى ﷺ باطناً و ظاهراً ، لكن اشتبه عليه بعض ما اشتبه على هؤلاء فاتبع المتشابه وترك المحكم ، كالخوارج و غيرهم من أهل الأهواء ،

ابن القيم ، حياته و آثاره

بقلم : الدكتور توفيق محمد شاهين

ابن قيم الجوزية ، هو : العلامة شمس الدين أبو عبد الله ، محمد بن بكر ابن أيوب بن سعد الزرعى ، ثم الدمشقى ، الفقيه الحنبلى المفسر النحوى ، الأصولى المتكلم ، الشهير بابن قيم الجوزية .

قال فى شذرات — كما جاء فى كتاب « جلاء العينين » للسيد نعمان الآلوسى البغدادى — بل هو المجتهد المطلق . درس بالصدرية ، وأم بالجوزية .

قال ابن رجب : ولد شيخنا سنة إحدى وتسعين وست مأة ، ولازم الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، و أخذ عنه و تفنن فى كافة علوم الاسلام .

و كان عارفاً فى التفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين وإليه فيه المنتهى ، و بالحديث و معانيه و فقهه و دقائق الاستنباط منه ، لا يلحق فى ذلك .

وفى الفقه والأصول العربية له فيها اليد الطولى ، وبعلم الكلام والتصوف و لم أشاهد مثله فى عبادته وعلمه بالقرآن و الحديث ، و حقائق الايمان ، وحج مرات كثيرة ، وجاور بمكة ، و ليس هو بالمعصوم ، ولكن لم أر فى معناه مثله .

و أخذ العلم عنه خلق كثير فى حياة شيخه و إلى أن مات ، وانتفعوا به .

قال القاضى برهان الدين الزرعى : وما تحت أديم السماء أوسع علماً منه ، و أوذى و عذب فى سبيل الله ، و سجن ، و صبر حتى مرت المحن ، و انتصر دين الله .

وفـــاته :

توفى — رحمه الله تعالى — ثالث عشر رجب سنة إحدى وخمسين وسبع مأة ، و دفن بمقبرة الباب الصغير ، جزاه الله تعالى عن الاسلام و المسلمين خير الجزاء ، و أمطر عليه شآبيب رحمته و رضوانه .

من كتبه القيمة :

١ — اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة و الجهميـــة ، تصحيح الشيخ عبد الله بن حسين آل الشيخ ، طبع المنيرية بمصر سنة ١٣٥١هـ .

٢ — أحكام أهل السنة ، تحقيق الدكتور صبحى الصالح ، طبع جامعة دمشق سنة ١٣٨١هـ .

٣ — أسماء مؤلفات ابن تيميـة رحمه الله تعالى — تحقيق : صلاح المنجد ، طبع دمشق ١٣٧٢هـ .

٤ — أعلام الموقعين عن رب العـالمين ، تحقيق الشيخ محى الدين عبد الحميد ، طبع السعادة بمصر سنة ١٣٧٤هـ .

٥ — إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تحقيق الشيخ محمـد حامـد الفقى ، طبع الحلبى بمصر سنة ١٣٥٧هـ .

٦ — إغاثة اللهفان فى حكم طلاق الغضبان ، تحقيق الشيخ محمد جمال القاسمى ، طبع مطبعة النهضة بمصر ،

٧ — بدائع الفوائد : أربعة أجزاء ، طبع المنيرية بمصر بلا تاريخ .

٨ — التبيان فى أقسام القرآن ، تصحيح طه شاهين ، طبع دار الطباعة المحمدية بمصر سنة ١٣٨٨هـ .

٩ — تحفة المورود فى أحكام المولود ، تحقيق عبـــد القادر الارناؤوط ، نشر

مكتبة دار البيان سنة ١٣٩١هـ .

١٠ — تهذيب مختصر سنن أبى داؤد ، تحقيق الشيخين : محمد حامد الفقى ، و احمد شاكر ، طبع مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٨٦هـ .

١١ — جلاء الأفهام فى الصلاة و السلام على خير الأنام ، تصحيح طه شاهين ، دار الطباعة المحمدية بمصر سنة ١٣٨٨هـ .

١٢ — حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ، تصحيح محمد الربيع ، مطبعة محمد على صبيح بمصر سنة ١٣٨١هـ .

١٣ — حكم تارك الصلاة ، طبع السلفية بمصر سنة ١٣٩٤ هـ .

١٤ — الداء و الدواء ، تحقيق الشيخ محى الدين عبد الحميد ، مطبعة المدنى بمصر سنة ١٣٧٧هـ .

١٥ — الرسالة التبوكية ، تحقيق الشيخ عبد الظاهر أبو السمح ، طبع السلفية بمصر سنة ١٣٤٧هـ .

١٦ — روضة المحبين و نزهة المشتاقين ، تحقيق الشيخ أحمد عبيد ، مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٧٥هـ .

١٧ — الروح ، طبعة محمد على صبيح بمصر ، سنة ١٣٨١هـ .

١٨ — زاد المعاد فى هدى خير العباد ، طبعة الحلبى بمصر سنة ١٣٦٩هـ .

١٩ — شفاء العليل فى مسائل القضاء و القـدر و الحكمة و التعليـــل ، تصحيح الحسانى عبد الله ، طبع أنصار السنة بمصر سنة ١٣٧٥هـ .

٢٠ — الصواعق (المرسلة) المنزلة عـلى الجهميـة و المعطلة ، طبع المختصر منه لمحمد بن الموصلى ، بمطبعة الامام بمصر سنة ١٣٨٠هـ .

٢١ — طريق الهجرتين و باب السعادتين ، الطبعة القطرية .

٢٢ — الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ، طبعة الاتحاد الشرقى بدمشق سنة ١٣٧٥هـ .
٢٣ — عدة الصابرين و ذخيرة الشاكرين ، تصحيح زكريا على يوسف ، مطبعة الامام بمصر .
٢٤ — الفروسية ، تحقيق عزت العطار الحسينى ، طبع عام ١٣٦٠هـ .
٢٥ — الفوائد ، تصحيح عمر بن عبد الجبار ، طبع دار مصر للطباعة .
٢٦ — الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية . . مع شرحها للشيخ / أحمد ابن عيسى النجدى ، طبع المكتب الاسلامى ، بدمشق سنة ١٣٨٢هـ .
٢٧ — مدارج السالكين بين منازل « إياك نعبد و إياك نستعين » . . ثلاثة مجلدات ، طبع محمد الفقى — بمطبعة أنصار السنة بمصر سنة ١٣٧٥هـ .
٢٨ — مفتاح ذار السعاده و منشور ولاية العلم و الادارة . . طبع محمود حسن الربيع ، سنة ١٣٥٨هـ ، نشر مكتبة الأزهر بمصر .
٢٩ — المنار المنيف فى الصحيح و الضعيف ، طبع دار القلم ١٣٩٠هـ .
٣٠ — الوابل الصيب من الكلم الطيب ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط وابراهيم الأرناؤوط ، نشر مكتبة دار البيان بدمشق طبعة عام ١٣٩٣هـ .
٣١ — هداية الحيارى فى أجوبة اليهود و النصارى . . طبع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .
٣٢ — و صدر حديثاً « التقريب لفقه ابن قيم الجوزية » ، للأستاذ / بكر بن عبد الله أبو زيد ، طبع دار الهلال بالرياض سنة ١٤٠١هـ وهو كتاب جيد ، و راجعنا عليه ما طبع من كتبه .
٣٣ — قاموس (غيرأس الأساس) للاستدراك على أساس الزمخشرى ، حققه — بفضل الله تعالى — نشر مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤١٠هـ .

ابن القيم من آثاره العلمية :

هذا عنوان كتاب قيم للدكتور « أحمد ماهر البقرى » الأستاذ بجامعة المنيا — مصر ، قدمه بنظرة موضوعية الكاتب الاسلامى « محمد عبد الله السمان » فى مجلة التضامن الاسلامى عدد شوال سنة ١٤٠٧هـ — نقتطف منه بعض النقاط ، لتلقى مزيداً من الضوء على شخصية ابن القيم و عصره و منهجه ، و العوامل التى أثرت فيه ، يقول الاستاذ السمان :

« ابن القيم من علماء السلف القلائل الذين يعتبرون بما تركوا لنا من آثار علمية ، دوائر معارف إسلامية ، تخرج فيها — و ما يزال يتخرج — العديد من العلماء ، و رواد الفكر الاسلامى ، و قد يرى البعض أن مرد ذلك : تتلمذ ابن القيم على شيخه — شيخ الاسلام — ابن تيمية ، و قد يكون هذا القول حقاً من عدة جوانب ، إلا أننا لا يمكن أن نغفل موهبة ابن القيم و استعداده ، و قدراته ، و إلا فان تلامذة ابن تيمية كانوا من الكثرة بمكان ، و لكن كم منهم من أمثال ابن القيم : رسوخاً فى العلم ، و غزارة فى العطاء من أصالة الفكر الاسلامى ؟ .

و لم يكن فيما ألف وأجاد : حاطب ليل — كما يقول الأستاذ محمد عبد الله السمان — مع أنه كان فى كل منها عالمها ، و هذا — بحق — لم يتوافر للكثير من علماء السلف ، فاذا نحن علمنا أن عصر ابن تيمية و ابن القيم ، لم يكن مفروشاً بالورود ، أدركنا قيمة آثار كل من الشيخين سواء من الناحية الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية ، وكانت للأشواك الغلبة : فلسفات واردة تريد أن تنال من الاسلام ، وصوفية جانحة ، و آثار الحرب الصليبية ، ثم غزو التتار ، و تفكك الوحدة السياسية للأمة المسلمة ، و لذلك اضطهد شيخ الاسلام و سجن ، وتوفى وهو فى سجنه ،

و اضطهد معه و بعد وفاته تلاميذه ، و فى مثل هذا الجو تظهر قيمة ابن تيمية وتلميذه ابن القيم . . العلمية ، لا من حيث الكم، بل من حيث الكيف أيضاً » .

و قد قال لى — كاتب المقال — يوماً أستاذى الدكتور محمد البهى : رحمه الله — إن ابن تيمية و تلاميذه كانوا فى ذلك الوقت هم الذين يضربون بسيف محمد بن عبد الله — ﷺ — وحدهم » .

كما قدم — د/ أحمد ماهر — كتاباً آخر جيداً تحت عنوان : « ابن القيم اللغوى » . . . فى الدين و النفس . . و تحدث عن هدفه فقال : كان هدف ابن القيم الذى يستهدفه و لا يريم عنه و لا يحيد ، هو إصلاح العقيدة التى فسدت فى عصره ، فقد غزا التتار البلاد ، و حطموا القيم الفكرية و الخلقية ، و كان لا بد من القلم الحاسم، والعزيمة الماضية تقف أمام الغزو التتارى وآثاره فى النفوس ، فلعل لنا فى أيامنا هذه البواعث على اختياره هذا الموضوع ، ما يجعلنا نذكر بجهود ابن القيم التى كان لها أكبر الأثر فى حفظ عقيدة الاسلام .

و عرض لابن القيم فى مجال اللغة فقال : « إن طلاب الثقافة و المعرفة الاسلامية عرفوا ابن القيم عالماً حجة فى شتى المعارف الاسلامية ، ولكن لم يعرفوه لغوياً بمعنى الكلمة ، والمعروف أن علماء الاسلام من السلف كانوا على علم باللغة العربية بشتى فروعها ، باعتبارها جزءاً غير منفصل عن الفكر الاسلامى ، و لكن ابن القيم فى مجال اللغة اعتبر لغوياً فى المقام الأول : ربما لأن اشتغاله بالتفسير حمله على الاهتمام بأسرار اللغة ، من منطلق التحليل لآى الذكر الحكيم .

وذلك لأن اللغة والشريعة ترتبطان برباط وثيق ، إذ كانت اللغة - وستظل - هى وسيلة الأداء . . المعبرة عن الادراك أو الفكر و الوجدان ، و ليس من المتصور أن يتصدى دارس للشريعة الاسلامية — مثلا — ، دون أن يتعمق فى

لغة هذه الشريعة .

فضلا عن أن كتاب الله و السنة النبوية هما الركيزة الأولى لأسرار اللغة العربية بشتى أصولها و فروعها .

و أشار إلى : ابن القيم و التفسير ، إلى أن منهج « التفسير بالقرآن » كان منهج ابن القيم ، و منهج شيخه ابن تيمية و الامام أحمد بن حنبل . . و لا يهم من تأثر بهذا المنهج بعد هؤلاء ، و لكن المهم أن هذا المنهج هو المنهج الأمثل فى التفسير ، و بعض المحدثين من علمائنا — من منطلق هذا المنهج — اتجه فى التفسير إلى البحث عن الوحدة العضوية أو الموضوعية للسورة القرآنية ، و منهم الشيخ محمود شلتوت ، و سار على نهجه الدكتور محمد البهى — رحمهما الله — و ربما كان حرص الأخير على هذا المنهج، هو الذى جعله يبدأ فى تفسير السور المكية، لا لأنها أول القرآن نزولا ، بل لأنها اختصت بمرحلة معينة وبيئة معينة .

و يقول الأستاذ السمان :

و بقيت قضية يجب أن تطرح اليوم : ؟ ؟

إن الغرب اهتم كثيراً بما نسميه « الأعمال الكاملة » لفلان من رواد الفكر عندهم ، ونحن هنا نتابع اهتمام الغرب، فنترجم تلك الأعمال الكاملة « لشكسبير » مثلا و للأسف نتجاهل الأعمال الكاملة لمفكرينا الاسلاميين من سلفنا ، ولدينا — و الحمد لله — عشرات المؤسسات الرسمية التى تهتم باحياء التراث ، و لكن الذى ننشده : هو عملية تحقيق للأعمال الكاملة جملة واحدة، لكل علم من أعلام علمائنا ، و بخاصة السلفيين منهم ، هناك جهود فردية تبذل ، إلا أن مثل هذا العمل يحتاج إلى لجان من العلماء المتخصصين ، يعملون أيضاً على تقسيم الأعمال بروح نزيهة حيادية ، و منهج علمى موضوعى ، لا أثر فيها للعاطفة أو المجاملة .

هذه أعز أمنية ينمناها الشباب المسلم ، فهل ستحقق أم نظل نردد قول الشاعر :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

ابن القيم يتحدث عن كتاب من كتبه :

هـذا الكتاب لابن القيم هو : « مفتاح دار السعادة و منشور ولاية العلم و الارادة » . .

و قد حوى من ألوان المعارف و قطوفها و فنونها ، ما يتشوق المسلم إلى معرفته ، و قد اقتبس منه كثير من المؤلفين و الوعاظ والكتاب ، ما جعل لهم شهرة واسعة ، يقول رحمه الله تعالى : « وقد جلبت إليك فيه نفائس ، فى مثلها يتنافس المتنافسون . . فان شئت اقتبست منه معرفة العلم وفضله ، وشدة الحاجة إليه و شرف أهله و شرفه ، و عظيم موقعه من الدارين ، و إن شئت اقتبست منه معرفة إثبات الصانع بطرق واضحات جليات ، تلج القلوب بغير استئـذان ، و معرفة حكمته فى خلقه و أمره ، وإن شئت اقتبست منه معرفة قدر الشريعة والحاجة إليها ومعرفة جلالتها وحكمتها ، و إن شئت اقتبست منه معرفة النبوة وشدة الحاجة إليها ، بل وضرورة الوجود إليها ، وأنه يستحيل من أحكم الحاكمين أن يخلى العالم عنها ، و إن شئت اقتبست منه معرفة ما فطر الله عليه العقول من تحسين الحسن و تقبيح القبيح ، و أن ذلك أمر عقلى فطرى بالأدلة و البراهين التى يشتمل عليها هذا الكتاب فلا توجد فى غيره ، وإن شئت اقتبست منه معرفة الرد على المنجمين القائلين بالأحكام بأبلغ طرق الرد من نفس صناعتهم وعلمهم ، وإلزامهم بالالزامات المفحمة التى لا جواب لهم عنها ، وابداء تناقضهم فى صناعتهم و فضائحهم و كذبهم .

و إن شئت اقتبست منه معرفة الطيرة والفأل و الزجر ، والفرق بين صحيح

ذلك و باطله ، و معرفة مراتب هذه فى الشريعة و القدر ، وإن شئت اقتبست منه أصولا نافعة جامعة ، مما تكمل به النفس البشرية ، و تنال به سعادتها فى معاشها و معادها . . إلى غير ذلك من الفوائد التى ما كان منها صواباً فمن الله وحده هو المان به ، و ما كان منها من خطأ فمن مؤلفه ، و من الشيطان ، والله بريئ منه و رسوله » (١) اهـ .

كلمة جامعة تنبئ عن سعة مداركه ، و حثه على الفضيلة ، و الدفاع عن الشريعة ، و بيان ما هو ضرورى لكمال الايمان بالله ، و تجليه بعض حكم الله تعالى فى خلقه ، و عظيم نعمه ، ثم التصدى للماديين و الملحـدين و المشعوذين والمعوقين ممن يعيشون فى الظلام ، وهمهم الحرام . . ثم يتواضع كعلماء زمانه ، فينسب ما كان من كمال و حسن فى كتابه إلى الله تعالى ، و ما كان من خطأ فمرجعه إليه لتقصيره و إلى الشيطان الرجيم . . ويحتاط فى كل مسألة بعد بيانها بقوله : « والله أعلم » . . ومعنى هذا فى إيجاز أن علماءنا كانوا واعين ومقدرين وناهضين بالمهمة التى ألقيت على كواهلهم ، وهى بناء الانسان والحضارة والتاريخ ، و إعلاء شأن الدين .

و الخلاصـة :

إن ابن قيم الجوزية أحد العلماء الأفاضل الذين دافعوا عن الاسلام ونشروا العلم و حفظوه ، و من الذين أخلصوا لله تعالى فزادهم هدى ، و آتاهم تقواهم . . و اتقى الله فعلمه الله تعالى : « و اتقوا الله و يعلمكم الله » ، حتى وصلنا هذا الفيض من الكتب و المعارف النافعة و الهادية

(١) مفتاح دار السعادة ، و منشور ولاية العـلم و الارادة ، ط ثالثـة ١٣٩٩هـ ص ٦٢٣ .

أسلمة التعليم تتكفل بالتقدم فى كل مجال

بقلم : معالى الدكتور محمد عبده يمانى

إن الاستعمار فى أى وجه من وجوهه الكالحة يعلم تمام العلم أنه لا مكان له مع الاسلام ، فالاسلام وحده هو الذى يقف عقبـــة كاداء فى طريق تنفيذ مخططاته الغاشمة لنهب خيراتنا ، وسلب ثروتنا ، و لذلك فهو يركز كل جهوده ، و يجند كل طاقاته للقضاء على الحنيفية السمحاء ، مستعينا بصنيعتيه : الصليبيـــة ، و الصهيونيـــة ، بل حتى بعدوته الشيوعية إن دعا الحال . . . يقول « لوريس براون » لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة ، ولكن بعد الاختبار ، لم نجد ما يبرر هذا الخوف : كنا نخوف بالخطر اليهودى ، والخطر الشيوعى ، و الخطر الأصفر ، مع أن الخطر الحقيقى يكمن فى الاسلام (١) و لا غرو إذن ، و لا عجب أن يؤكد المستشرق « ولفر كانتول سمث » فى كتابه Islam in Modrn History « أن الغرب يوجه كل أسلحته الحربية و العلمية و الفكرية و الاجتماعية و الاقتصادية لحرب الاسلام ، و إنه خلق إسرائيل فى قلب العالم الاسلامى كجزء من هـــذا المخطط المرسوم » (٢) .

إن هذه الجهود الضخمة التى يبذلها الغرب ، و هذه الامكانات اللامحدودة التى يعتمد عليها ، فى القضاء على الاسلام فى كل مكان ، تقتضى أن تقابل منا بما يكافئها ، لا يقافها عند حدها ، إن لم نقل لدحرها و ردها .

(١) الله أو الدمار لدولة سعد جمعة ، ص / ١١١ (دار الكاتب العربى) .
(٢) المصدر السابق ص ٩٧ .

هذا ما يقول به المنطق ، وما تدعو إليه الحاجة الملحة ، و لكن الله تعالى خفف علينا هذه المهمة ، ذلك أن منطق الاسلام فى هذه الناحية مختلف ، فقد جعل الله تعالى فى الاسلام نفسه قوة ذاتية لا تقاوم إذا وجدت من يستخدمها ، حق استخدامها ، يقول الله تبارك و تعالى (الآن خفف الله عنكم ، وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين ، و إن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين ، باذن الله ، و الله مع الصابرين (الأنفال ٦٦) — لا تقل إن هذا محصور فى ميادين الضراب و الطعان ، لا ، و إنما يدخل أيضاً فى ميادين الحجة و البرهان ، (لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (النساء ١٤١) فسر (السبيل) هنا غير واحد بالحجة .

و الحجة لا تكون إلا بالعلم . . .

و العلم فى الاسلام — لشموله — كالروح بالنسبة للجسد ، فلا يحيا جسد بلا روح ، ولا تبقى روح بغير جسد ، وجسد العلم إنما هو هذه التقنيات ، هذه الصناعات ، هذه المنشآت ، خذ اليابان التى كان فى الامكان أن نسبقها فتخلفنا عنها بمراحل . . « فما زال التعليم المهنى مقدما على النظرى فى اليابان ، و نقطـــة القوة الأساسية فى النظام التربوى اليابانى ليست هى جامعاته ، و إنما هى معاهده التقنية المتوسطة التى تمثل عموده الفقرى (١) — و ليس معنى هـذا أنهم أغفلوا النخبة » فقد استطـاعت اليابان أن تجمع بين شعبية التعليم و ارستقراطيته العلمية الفكرية ، بمعنى أن التعليم أتيح للجميع فى قاعدة الهرم التربوى لتزويد الأمة باليد العاملة المتعلمة ، لكـنه اقتصر فى مستوى القمة على القلة الممتازة عقليا ، و المتفوقة

(١) جذور التربية اليابانية و خصائصها للدكتور محمد جابر الأنصارى — مقالة نشرت بمجلة رسالة الخليج — العدد الحادى و العشرون ١٤٠٧هـ .

فى مواهبها ، لتخرج النخبة القيادية الكفأة ، و القادرة على مواجهة التحديات . . بهذا تمت الموازنة بين تعليم العامة و إعداد النخبة » (١) .

ولو سرنا نحن على هذا النهج منذ البداية ما سبقنا أحد .

إن الحقيقة التى نعلمها جميعاً ، و يتجاهلها أكثرنا، هى أن « أسلمة » التعليم، المفتاح الوحيد لحل كافة مشاكلنا لا فى أفريقيا وحدها ، و لكن فى كافة أنحاء المعمورة ، و بما أن التعليم هو أساس كل شئ ،و يدخل فى كل شئ فان أسلمة التعليم إنما تعنى أسلمة جميع جوانب الحياة . . .

إن أسلمة التعليم تعنى أولا أسلمة جميع مفاهيمنا ، حتى يسير التعليم المهنى جنبا إلى جنب مع التعليم الاكاديمى أو النظرى ، فنعد أبناءنا ، و نرشدهم ، إلى نوع التعليم الذى يتناسب مع مواهبهم و استعداداتهم الفطرية ، لا الذى يتناسب مع أوهامنا ، و نظراتنا الخيالية . . .

قيمة الانسان ما يحسنه أكثر الانسان منه أو أقل

ولا يحسن إنسان أمراً لم يعده الله له ، ولم يؤهله للاحسان و الاتقان فيه . . . إن هذا هو عين الحكمة « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » إذ ليست الحكمة إلا وضع الأمور فى مواضعها المناسبة المهيأة لها . . .

إن أسلمة التعليم تعنى ثانيا أسلمة « البيت » حتى يتعاون مع المدرسة ، فان تربية الأبناء تظل عرجاء إذا سارت على ساق واحدة . . .

إن أسلمة التعليم تعنى ثالثا أسلمة المجتمع، الذى يكون مجموع الأسر أو « البيوت » و هذا يقع على عاتق الأمة ، صحيح إن أهم وسائل التعليم كالاذاعة و التلفاز ، تتحكم فيها الأجهزة الحكومية ، التى يهتم كثير منها بالسياسة ، و الترفيه و التوعية

(١) المصدر السابق .

الموجهة ، أكثر مما تهتم بالتوعية الاسلامية بوجه خاص ، وهنا تنتقل المسئولية إلى « الدعاة » فالندوات و المساجد و المناسبات الدينية ، بل و الوطنية المختلفة، كلها قنوات هامة لتوعية الشعب التوعية الاسلامية الصالحة ، كما أنها قنوات هامة و صالحة لاكمال النقص فى مناهجنا التعليمية الذى قد يكون خطيراً فى بعض الأحيان ، من هذه الناحية .

إن أسلمة التعليم تعنى رابعاً ، بل و أولا و آخراً ، أسلمة المناهج و لا تعنى أسلمة المناهج إحلال العلوم الدينية محل العلوم التى تسمى مدنية، لا ، وإنما تعنى أن تدرس هذه العلوم المدنية فى الاطار الا سلامى ، دون أن ينقص منها شئ ، و لتخدم الفكرة الاسلامية، و لتربى الروح الاسلامية ، دون أن يضاف إليها شئ، إن درساً واحداً فى التاريخ مثلا ، يمكن أن يدرس بحيث يلهب النعرات القومية الضيقة ، أو يمهد الطريق للالحاد ، أو للعقيدة الصحيحة ، ليست العبرة فى المناهج بالحقائق التى تدرس ، و إنما العبرة بالاطار الذى ندرس فيه الحقائق و بالروح التى تملى بها هذه الحقائق ، و بالصياغة التى تصاغ بها هذه الحقائق ، لتكون القالب الذى يصب فيه ، او الطابع الذى يطبع به الأستاذ نفسية تلميذه ، و تطلعاته و طموحاته ، و مفاهيمه .

و هذا كله يقودنا إلى أسلمة التربية ، وإلى إعداد « المربى » المسلم .. وهما الركيزتان اللتان ترتكز عليهما أسلمة جميع جوانب الحياة .

ليت أولى الأمر منا أن يوفروا « المربى » من حيث هو ، و لا يقتصروا على مجرد « المدرس » .

و هنا تتميز وتبرز ملامح المهمة الملقاة على معاهدنا الاسلامية ، فان عليها أن تسد النقص ، فتخرج الداعيـة أو بالأحرى « المربى المسلم » الذى يعرف

مكائد الصليبية ، و مصائد الصهيونية ، و تشكلات ، و تشكيلات الاستعمار ، الداعية المنفتح بقلبه إلى الله ، وبعقله إلى العالم ، الداعية الذى يربط بين المسجد والحياة ، ويعمل لدنياه ، كأنه يعيش أبداً ، ولآخرته كأنه يموت غداً ، الداعية الذى له من حرفته ، ما يكفيه لدنياه ، ومن علمه ما يكفيه لتبليغ رسالته ، الداعية الذى يكون « القدوة المثلى » أو كما وصف الله تعالى حبيبه محمد « ﷺ » ، السراج المنير » الذى ينير جوانب النفس ، و جوانب الروح ، وجوانب القلب ، قبل ، و بعد أن ينير جوانب العقل .

طبعاً هذه عمليات لا تكون إلا عن طريق المال .

و الحمد لله العالم الاسلامى ككل ، فيه ثروات متكاملة ، لا محدودة ، ولا أشك أن العالم الاسلامى قدم للعالم و ما يزال ، و حتى لو فرضنا أن ما قدم كان كثيراً ، فانه قليل بالنسبة للتحديات العنيدة ، المزودة بكافة الوسائل . . فعلى العالم الاسلامى ، و أعنى المقتدر منه ، أن يقدم أفريقيا و غير أفريقيا ما يساعدها على تنمية ثرواتها عن طريق العلم ، والحفاظ على مقدساتها عن طريق العلم ، و الوقوف بصلابة أمام هذا الثالوث المنحوس : الصليبية ، و الصهيونية ، و الاستعمار فى ثوبه البراق الخداع الحديث . . بل على العالم الاسلامى بأكمله أن يتعاون فى ذلك ، التعاون الوثيق ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها « لينفق ذو سعة من سعته و من قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله » ، و واجب الهيئات الدينية وكافة الجهات الحادبة على الاسلام ، أن تدق أجراس الخطر ، و تذكر الحكومات ، وتلهب مشاعر الشعوب ، عن طريق الاعلام ، عن طريق الدعاية ، عن طريق الندوات ، عن أى طريق مشروع .

إن الشعوب الاسلامية قد تتهاون ، و قد تتوانى ، فى أى أمر مهم لكنها

إذا شعرت بأن الاسلام فى خطر ، هبت هبة رجل واحد ، مضحية بكل غال ونفيس ، حتى النفس و البنين ، « خذ مثالا من تركيا » هكذا يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودى عليه الرحمة : خذ مثالا من تركيا ، لما غزا اليونان آسيا الوسطى بعد الحرب العالمية الأولى هب مصطفى كمال يقحم نفسه فى الجيوش التركية و فى يده مصحف ، و ناشدهم بحماس دافق أيها الأتراك ، هل تعلمون ما هذا الكتاب الذى بيدى ، فيجيبونه : إنه المصحف الشريف ، فيقول لهم ، إنكم إذا لم تخرجوا معى للحرب مع اليونان فلن يكون لهذا الكتاب بقاء فى الأرض .

فخرج المسلمون واضعين رؤوسهم على أكفهم ، وطردوا اليونان من أرضهم رغم ما كانوا عليه من قلة العتاد الحربى ، ونقص الامكانات المادية وكان اليونان يساندهم الحلفاء (١) ، و الأمثلة كثيرة . .

هكذا تفعل العقيدة الأفاعيل ، هكذا تفعل هذه الجذوة التى لا تخبوا فى نفوس المسلمين ، حتى من كان منهم من العصاة ، فاذا كان المسلمون يجودون بنفوسهم كلما أحدق خطر بالاسلام ، فلا يجودون ، بل و يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة ، بالمال . .

إن من جاد بالنفوس اختياراً أنفق الدر طائعاً و النضارا

فعلينا أن نضرب على هذا الوتر الحساس من نفوس المسلمين لتعاون على صد قوى الشر من كل مكان .

« إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض و فساد كبير » .

(١) الاسلام اليوم ، للاستاذ المودودى صفحة ٤٤/٤٥ (الدار السعودية للنشر و التوزيع) .

الطريق إلى حل القضايا المعاصرة

فى ضوء الكتاب و السنة

— ٤ —

بقلم : فضيلة الأستاذ خالد سيف الله الرحمانى

تعريب : الأخ محمد فهيم أختر الندوى

٣ — أثر اختلاف الأوضاع السياسية على الأحكام :

يبدو من استعراض الأحكام الفقهية أن الفقهاء أفتوا فى عديد من قضايا الحياة المستحدثة اقتضاء أحوال عصرهم السياسية الخاصة بدولة إسلامية تملك قوة التنفيذ على الجماهير ، فكان من الظاهر أن تصلح مثل هذه الفتاوى ما دامت السلطة بيد المسلمين ، أما بعد انقراض دولة الاسلام و بالتالى انتهاء قوة التنفيذ منها تعود غير صالحة .

و من هنا وجدنا دليلا فى منهج الفقهاء الأسلاف على تغيير الأحكام المبنية على أوضاع سياسية خاصة بأحكام جديدة تلائم مع طبيعة الظروف الحديثة تطبيقاً لمصالح الاسلام و مقاصده التشريعية ، و نوضح هذا ببعض الأمثلة :

١ — اتفقت النقول عن أئمتنا الثلاثة أبى حنيفة و أبى يوسف و محمد أن الاستيجار على الطاعات باطل .

قال فى الهداية :

« لا يجوز الاستيجار على الأذان و الاقامة و تعليم القرآن و الحج و الفقه » (١) .

(١) الجامع الصغير متن الهداية ج ٣ ص ٣٨٧ .

و يؤيد هذا الرأى بعض الأحاديث - على صاحبها الصلوات و التسليم - فعن بريدة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « من قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء يوم القيامة و وجهه عظم ليس عليه لحم » (١) ، و نصح - ﷺ - لعثمان بن أبى العاص فى آخر عهده : إذا جعلت مؤذناً فلا تأخذ الأجرة على الأذان .

و لكن لما تغيرت الأحوال فى العصور المتأخرة ، و انقطع ما كان للمعلمين من عطايا من بيت المال ، و اضطروا إلى الاكتساب من طرق أخرى دون تعليم القرآن ، أفتى الفقهاء بصحة الاستيجار على تعليم القرآن و قالوا : « لو لم يصح الاستئجار و أخذ الأجرة لضاع القرآن و فيه ضياع الدين » (٢) ، وذكر برهان الدين المرغينانى (٥٩٣ه) آراء بعض مشايخه أنهم عندما لاحظوا الفوضى الشديدة و الغفلة عن علوم الدين و التوانى فى الأمور الدينية ، لم يجوزوا أخذ الأجرة على تعليم القرآن فحسب بل استحسنوها .

جاء فى الهداية :

« و بعض مشايخنا استحسنوا الاستيجار على تعليم القرآن اليوم لأنه ظهر التوانى فى الأمور الدينية » (٣) .

ثم أفتى الفقهاء بصحته على الأذان والامامة و تعليم الفقه للصلحة المذكورة ، و ذكر عليه الفتوى فى تنوير الأبصار و الدر المختار و المنتقى و الدرر و هذا ما

(١) البيهقى فى شعب الايمان نقلا عن مشكاة المصابيح : باب فضائل القرآن ج ١ ص ١٩٣ .

(٢) مجموعة رسائل ابن عابدين ج ١ ص ١٤ .

(٣) الهداية ج ٣ ص ٣٨٧ .

أفتى به المتأخرون لعلمهم بأن أبا حنيفة وأصحابه لو كانوا فى عصرهم لقالوا بذلك و رجعوا عن قولهم الأول (١) .

٢ — إذا غاب الزوج و لم يترك لها مالا تنفق منه ، أو هو معسر لا يستطيع الانفاق ، أو لا ينفق عليها ظلماً مع استطاعته ، فالقاضى الحنفى لا يقوم بالتفريق لعدم الانفاق و لا يخير المرأة للنكاح الآخر ، و تؤمر الزوجة بالاستدانة على زوجها طول مدة غيابه .

قال فى مجمع الأنهر :

« العجز عن الانفاق لا يوجب الفراق » (٢) .

و ذهب المالكية و بعض الفقهاء الآخرين إلى أن القاضى يفسخ النكاح فى تلك الأحوال ، و تتخير المرأة بعد ذلك لنكاحها الثانى (٣) .

و نلاحظ هنا أن قول الحنفية هذا يصلح إذا نفذ فى دار الاسلام ، لأن المرأة تستقرض من بيت المال و كذلك إذا استقرضت من آخر و لم تقدر على الأداء إليه تستحق للمعاونة المالية أو أخذ الصدقات من بيت المال ، و لما تغيرت الأحوال و خرجت كثير من الدول المسلمة من أيدى المسلمين ، و بعضها بقى للمسلمين التغلب عليها و لكن لم يطبق فيها النظام الاسلامى ولم يتوافر فيها العون و الامداد فى مثل هذه الشئون ، عاد هذا الحكم شديداً حيث لا تجد ما تنفق و لو قرضاً ، فتبقى تعانى شدائد المجاعة و لا تتخلص من ظلم زوجها ، قالوا : إن القاضى الحنفى يختار أحداً من الشافعية نائبه ، ثم هو يحكم لها بالتفريق وفق مذهبه

(١) شرح رسم المفتى ص ١٤ .

(٢) مجمع الأنهر ج ١ ص ٣٨٧ .

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة ج ٤ ص ٥٨١ .

و لكن ليس كل بلد يسكنه عالم شافعى ، فقال الفقيه أبو حفص الاسنروشى : إن القاضى الحنفى إذا كان مجتهداً ويرى فى ذلك فسخ النكاح فيفرق بنفسه بينهما ، و الحقيقة أن الحل الثانى كان أصعب من الحل الأول ، فوجود القاضى الشافعى أمكن من وجود القاضى الحنفى المجتهد ، فقال فضيلة الشيخ عبد الصمد الرحمانى : « إن القاضى فى الأحوال المعاصرة يفسخ بنفسه النكاح عملا بالمذهب المالكى »(١) واختارت هذه الفتوى دار القضاء للامارة الشرعية لولاية بيهار و أريسة « فلوارى شريف » بتنه الهند .

٣ — إن عامة الناس يختارون والياً لهم ، وهو يعين عليهم قاضياً ، هذا هو طريق نصب القاضى شرعاً ، سلك عليه المسلمون فى عصر الخلافة الراشدة فكان نصب القاضى و عزله بيد الخليفة ، و لكن لما انهزم المسلمون فى الأندلس و خرجت السلطة من أيديهم ، و لم يبق سلطان مسلم يعين لهم قضاة ، و احتاجوا بشدة إليهم إذ قضاء غير المسلمين من القضاة لا ينفذ عليهم شرعاً أفتى الفقهاء وقالوا : إن القاضى يصير قاضياً شرعياً بتراضى المسلمين فى هذه الأحوال .

و لم تكن هذه التغيرات فى آراء الفقهاء و فتاويهم إلا من جراء اختلاف الأحوال السياسية لدار الاسلام و دار الكفر و ما ينتج هذا الاختلاف من القضايا المتجددة المتعقدة المستلزمة لمثل هذه التغيرات .

٤ — العرف و التعامل :

تبتنى كثير من الأحكام الشرعية غير المنصوصة على أعراف العصر وعادات الناس فيه ، فتعامل المسلمين وعرفهم مصدر مستقل للفقه الاسلامى ، تتغير الأحكام بتغير الأزمان و البقاع ، قال العلامة القرافى المالكى :

(١) كتاب الفسخ و التفريق .

« إن كل ما هو فى الشريعة يتبع العوائد يتغير الحكم فيه عند تغير العامة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة » (١) .

مثل ذلك أن الفقهاء اعتبروا فى النكاح كفاءة الزوجين . أوجب أبو حنيفة الكفاءة فى الحرف، فلا يكون أصحاب الحرف الدنيئة من الصنائع أكفاء أصحاب الحرف العالية المفتخر بها ، كالحلاج و الحذاء و أمثالهما لا يكونون أكفاء لأهل التجارة وأصحاب العلم ، فاذا تزوجت المرأة البالغة من غير كفوء يجوز لولى المرأة أن يطلب من القاضى فسخ نكاحها ، و لكن أبا يوسف تلميذ الامام أبى حنيفة لم يشترط الكفاءة فى الحرف ، فذكر الفقيه الشهير علاء الدين الكاسانى أن هذا الاختلاف فى الشرط بسبب اختلاف العرف و العادة ، فانه لما صار أبو يوسف قاضياً لم توجد ثمة فى المجتمع طبيعة التفوق و التميز على أساس الحرف .

٥ — النصوص المحمولة على العرف :

بعض الأحكام المنصوصة محمولة على العرف و العادة ، تتغير بتغير العرف ، و ذلك لا يعنى أن النصوص أيضاً تحتمل النسخ و التبديل ، بل الواقع أن الشرع وسع فى هذه النصوص بحيث لا تتسبب لأى ضرر ومشقة فى أى عصر ، مثل ذلك أن القرآن ذكر شرط العدالة فى الشهود ولكن ما هو معيار العدالة ؟ لم تأت الشريعة فى تشريحها بصورة معينة واضحة ؟ فاستفاد الفقهاء من هذا الابهام و شرحوا العدالة حسب أحوال عصرهم الخلقية و الاجتماعية ، شدد المتقدمون فى مفهوم العدل تشديداً و اشترطوا فيها شروطاً صعبة ، فى حين أن المتأخرين جاؤا بالتخفيف و التيسير إلى حد كبير ، فعند المتقدمين لا يبقى الرجل عادلا إذا ارتكب كبيرة ولو مرة واحدة، وكذلك إذا اقترف الصغائر مراراً تسقط عدالته ،

(١) الاحكام فى تمييز الفتاوى من الأحكام ص ٦٧ - ٦٨ .

و لكن تدرج فيها التخفيف ، فشرح شمس الأئمة السرخسى « العدالة » بأسلوب يدل على أنه أيضاً لا يرضى بتشديد المتقدمين و يريد التوسع فيها لفساد العصر.

يقول السرخسى :

« العدالة هى الاستقامة، وذلك بالاسلام واعتدال العقل، و لكن يعارضهما هوى يضله أو يصده ، و ليس لهذه الاستقامة حد يوقف على معرفته لأنه بمشيئة الله تعالى تتفاوت أحوال الناس فيها ، فجعل الحد فى ذلك ما لا يلحق الحرج فى الوقوف عليه » (١) .

و شرح المتأخرين للعدالة يدل على مفهوم المروءة ، يعنى أن يكون الرجل وجيهاً ، ذا مروءة و منزلة فى المجتمع ، أو على الأقل أن يكون إذا ثبت عليه الكذب ندم على فعله وخشى على وجاهته فيه، قال الحافظ ابن القيم (١١١٦-١٢٠٠) .

« و الصواب المقطوع به أن العدالة تتبعض ، فيكون الرجل عدلا فى شئ و فاسقا فى شئ ، فاذا تبين للحاكم أنه عدل فى ما شهد به شهادته فلا يضره فسقه فى غيره » .

و قال فى القنية :

« إذا كان الرجل يشرب سراً وهو ذو مروءة فللقاضى أن يقبل شهادته » (٢) .

فاشتراط القرآن للعدالة يقتضى أن يكون الشهود موثوقاً بهم ، و الظاهر أن القيم الخلقية و الدينية تتغير فى كل عصر ، فالرجل مثلا كان غير موثوق به فى عصر، يصبح موثوقاً به فى عصر أكثر انحطاطاً وزوالا منه ، فلما ذكر القرآن « العدل » مجملا جعل مساغاً للتوسع والتيسير فى مفهومه حسب أحوال العصر،

(١) المبسوط ج ١٦ ص ١٢١ .
(٢) معين الحكام ص ١٤٦ .

فلو كان مفهوم العدل فى عصرنا المعاصر كما كان لدى المتقدمين لم يستطع الناس أن يأتوا بشهود تقبل شهادتهم ، و ذلك يؤدى إلى سد باب العدل عليهم .

٦ — الوسائل الحديثة :

اتخذ الفقهاء فى عديد من القضايا أسلوباً يوافق مع وسائل عصرهم ، وبعد أن جاء الانقلاب الميكانيكى باختراع أنواع من الوسائل الحديثة السهلة ، أمكن التوصل إلى المقصود بأسلوب أسهل و أسرع من قبل .

١ — و المثال الواضح لذلك قضية « كتاب القاضى إلى القاضى » ، و ملخصها أن القاضى إذا أراد أن يرسل مستندات المحاكمة إلى قاض آخر ، يلزمه أن يغلفها بين يدى رجلين ثم يختم على الملفوف ، و يذهبان به معاً لا ينفرد أحدهما عن صاحبه طول الطريق إلى القاضى الآخر ، و هو يفتحه أمامهما و هما يشهدان أنه عين ما أرسله إليه القاضى الأول ، و بعد هذا كله يعتبر بتلك الوثائق ، ونحن نلاحظ أن ذلك لم يكن إلا لغلبة الظن بصحة نسبتها إلى المرسل ، وهذا الأسلوب كان موافقاً لذلك العصر حيث لم يكن نظام البريد ، و لا اخترعت آلات يتصل بها أحدهما بصاحبه فيطمئن على أمره .

وفى العصور المتأخرة خفف الفقهاء فى هذه التشديدات فمثلا كان أبو يوسف يرسل المستندات إلى القاضى الآخر مع المدعى دون الشهود و لا يلتزم بالختم عليها ، و اختار هذا الطريق شمس الأئمة السرخسى أيضاً و رجحه .

و لكن عصرنا هذا أتى بنظام للبريد جديد يوثق به فى عامة الأحوال و تصل الأمانات إلى أهلها بحفاظ تام ، و يمكن للمرسل أن يتصل بصاحبه حيثما شعر بحاجة إلى ذلك مهما كان منه على مسافة شاسعة ، فنى هذا العصر ليس من الفقه الاصرار على ذلك الطريق القديم .

٢ — يلزم شرعاً لصحة البيع أن يكون المبيع متعيناً مميزاً سواء كان مما ينقل و يحول أو مما لا ينقل ، و وفقاً لهذه القاعدة أوجب الفقهاء فى بيع الأراضى بيان مساحتها و تعيينها ثم تسليمها إلى المشترى بحيث يكون كلاهما حاضرين فى تلك الأرض ، و هذا لأن الأرض لم تكن تتعين فى ذلك العصر ما لم يحضر البيعان فيها ويقول البائع للمشترى : إنى أبيع هذه الأرض ، أما فى عصرنا فتتعين الأرض بذكر رقمها ، لأن كل أرض يكون لها رقم خاص يعين من قبل الحكومة فيصح البيع إذا ذكر الرقم .

٣ — الجنون و بقاء بكارة الجارية و أمثال ذلك من القضايا ، ذكرت لمعرفتها علامات خاصة ، فهذا أيضاً يندرج تحت القسم الذى ذكر فيها الفقهاء آراءهم حسب وسائل عصرهم ، و الآن حيث اخترعت آلات جديدة قوية لمعرفة تلك الأشياء يصح الاستفادة منها .

و الأصل فى هذا أن الوسائل لا تكون مقصودة بعينها ، بل إنها تكون ذريعة للتوصل إلى المقصود ، و الذرائع متغيرة ، و الأصل الثانى أن الأصل فى الأشياء الاباحة ، فكل جديد إذا كان خالياً عن مناط النهى صريحاً يكون جائزاً ، و الأمثلة لذلك موجودة لدى الفقهاء المتقدمين أيضاً و من ذلك قبول الفقهاء آراء الأطباء فى كثير من القضايا .

٧ — القوانين التعزيرية :

من أحكام الفقه التى تقبل التغير و تجرى فيها أحكام جديدة حسب مقتضيات العصر ، قوانين الاسلام الجنائية ، و هى تشتمل على عقوبات للجرائم التى لم تبين النصوص عقوبة خاصة لها .

نحن نرى أن الشريعة لم تعين العقوبة إلا لجرائم تسبب ضرراً كبير و آثاراً

بعيدة المدى ، والمرتكب لها لا يتعدى حدود الله فحسب بل تؤدى جريمته إلى مضار خلقية و اجتماعية و فكرية . و تؤدى إلى انحلال النظام و التنسيق ، و دون هذا جرائم كثيرة تفوق العد والحصر لم تعين الشريعة لها عقوبة خاصة ، وأولت الأمر إلى القاضى أو الأمير ، فهو يعين العقوبة حسب نوع الجريمة و تأثيرها و حسب شخصية المجرم و ما يكون له نكال من العقوبات .

٨ — اختيار المذاهب الفقهية الأخرى :

و من هذا القسم العدول عن مذهب فقهى إلى آخر فى مسألة خاصة تحت أحوال و تجارب ، فمثلا لا يقضى القاضى عند أبى حنيفة على المدعى عليه ، إذا كان غائباً ، و لكن يتسبب هذا أحياناً لمشقة شديدة ، و يسد باب الانصاف على كثير من الناس ، والغالب أن القضاة حصلت لهم مثل هذه التجارب ، وحمل هذا الأمر الفقهاء على تجويزهم القضاة فى مثل هذه القضايا بأنهم إذا اطمئنوا على صدق دعوى المدعى يقضون على المدعى عليه فى غيابه أيضاً .

قال القاضى ابن سماوه :

« قد اضطربت آراؤهم وبيانهم فى مسائل الحكم للغائب وعليه ، و لم يصف و لم ينقل عنهم أصل قوى ظاهر يبنى عليه الفروع بلا اضطراب و لا إشكال ، فالظاهر عندى أن يتأمل فى الوقائع و مع الأخذ بالحيطة و يلاحظ الحرج و الضرورات فيقضى بحسبها جوازاً و فساداً » .

و الأمثلة لذلك متضافرة لدى الفقهاء ، ذكرنا بعضاً منها فيما سبق .

« العرف و العادة فى ضوء الشريعة الاسلامية »

—(٣)—

بقلم : الأستاذ عتيق أحمد القاسمى
أستاذ دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ
تعريب : محمد رحمة الله المظفر پورى

يقول فقيها العصر الراهن « الشيخ محمد فهمى أبو سنة » و « الشيخ مصطفى أحمد الزرقاء » وهما يردان وجهة نظر العلامة الشامى رحمه الله « أن العرف العملى يخصص النص العام مثل العرف القولى ، و ذلك إذا كان مقارنا ، يعنى يوجد ذلك العرف العملى عند ورود النص العام ، و لا يجوز التخصيص فى النص العام بالعرف العملى الطارىء الحادث » .

و قد أشبع الكلام فى نفس الموضوع « الشيخ محمد فهمى أبو سنة » فى كتاب له « العرف و العادة عند الفقهاء » ، لخصه « الشيخ مصطفى أحمد الزرقاء » فيقول : « و أما إذا كان العرف المخالف للنص العام حادثاً بعد ذلك النص ، فان هذا العرف لا يعتبر ولا يصلح مخصصاً للنص التشريعى باتفاق الفقهاء ، ولو كان عرفاً عاماً ، لأن العرف الحادث هو طارىء بعد أن حدد مفهوم النص التشريعى و مراد الشارع منه ، و أصبح نافذاً منذ صدوره عن الشارع ، فاذا ساغ تخصيصه بعد ذلك بعرف طارىء مخالف له ، كان ذلك نسخاً للنص التشريعى بالعرف ، و هذا غير جائز ، إذ لوجاز لأدى إلى تبديل معظم أحكام الشريعة بأعراف طارئة تلغيها و تحل محلها ، فلا يبقى للشرع معنى » (١) .

وما قدم « الشيخ محمد فهمى أبو سنة » و « الشيخ مصطفى أحمد الزرقاء » وجهة أنظارهما حول عدم التخصيص فى النص العام بالعرف العملى الحادث ،

(١) المدخل الفقهى العام للزرقاء ٢/ ٩٠٠ — ٨٩٩ .

فكان أول ما يعترض على وجهة أنظارهما أنه توجد هناك أمثال عديدة فى الفقه الحنفى لتخصيص النص العام بالعرف العملى الطارىء .

و بذل كلاهما جهوداً نحو البحث عن حل هذه المشكلة منفرداً ، و اجتهدا فى استثناء تلك الأمثلة من هذا الموضوع .

و بين الشيخ محمد فهمى أبو سنة القاعدة الاستثنائية بأنه إذا وجد الأساس الشرعى للعرف الحادث يغنى يعضده النص الخاص أو الاجماع أو الضرورة فيعتبر بذلك العرف الطارىء ، أما إذا كان معارضاً للنص الخاص ، و إن لم يؤيده أحد من هذه الثلاثة المذكورة فلا يكون فى حيز الاعتبار إطلاقاً .

و قد حاول « الشيخ محمد فهمى أبو سنة » حمل المسائل التى خصص فيها النص العام لأجل العرف الطارىء على أنه يؤيد العرف الطارىء فى تلك المسائل بالاجماع أو الضرورة ، لكن الواقع أنه لا تجرى القاعدة الاستثنائيـــة فى مثل تلك الأمثله كلها ، بل فى إجرائها فى كثير من الأمثلة تكلف محض ، ولو سلمنا توجيه الشيخ محمد فهمى أبو سنـــة فى تلك المسائل لا يكون ذلك تخصيصاً بالعرف ، بل هو تخصيص بالنص الخاص و الضرورة و الاجماع .

و ملخص كلام « الشيخ مصطفى أحمد الزرقاء » نحو التماس الحل لهـــذه القضية فيما يأتى : « على أن تتبع الفروع الفقهية و النظر فى تعليلاتها التى يعلل بها الفقهاء يدل دلالة واضحة على أن العرف الحادث ، ولو خالف ظـاهر النص التشريعى ، يعتبر و يحترم فى حالتين :

١— إذا كان النص التشريعى نفسه معللا بالعرف .

٢— و إذا كان النص التشريعى معللا بعلة ينفيها العرف الحادث ، سواء أكانت علة النص مصرحاً بها فيه أو مستنبطة استنباطاً بطريق الاجتهاد ، ففى مثل

هذه الحال يعتبر العرف الحادث و يحترم و إن خالف النص ، لأن هذه المخالفة تصبح ظاهرية غير حقيقية ما دامت علة النص تنتفى بوجود العرف ، إذ من المقرر فى قواعد الأصول أن الحكم الشرعى يدور مع علته ، فيثبت عند ثبوتها ، و ينتفى بانتفائها (١) .

و قد تقدم بيان الصورة الأولى من تينك الصورتين اللتين حكم فيها « الشيخ الزرقاء » باعتبار العرف الطارىء ، بشىء كثير من الاطناب و التفصيل .

و كذلك قد ذكر فى بيان « النصوص العرفية » أن النص العرفى سواء كان خاصاً أو عاماً لا يستمر حكمه بعد تغير العرف ، و صورة الاستثناء الثانية لا شك أنها تحقيق خاص « للشيخ الزرقاء » و إنها معقولة و مقبولة إلى حدما ، لكن فروع تخصيص النص العام بالعرف الطارىء التى توجد فى الفقه الحنفى لا يخلو جهد إدخالها جميعاً فى القاعدتين الاستثنائيتين من التصنع و التكلف .

وقد حاول « الشيخ الزرقاء » تطبيق قاعدته الثانية الاستثنائية فى ثلاثة أمثلة .

اثنان منها لا علاقة لهما بالموضوع كما هو رأيى ، و واحد منها يتعلق بالموضوع و نقدم تحليله فيما يأتى :

من أقوال النبى ﷺ أنه نهى عن بيع و شرط ، و نظراً إلى هذا الحديث اعتبر الفقهاء الأحناف كل شرط يكون فيه نفع البائع أو المشترى أو المبيع مفسداً للبيع إذا كان ذلك الشرط خارجاً عن الحكم الأساسى للبيع ، مثلا لو اشترى أحد حنطة من الآخر بشرط أن يسلم إليه البائع طحين الحنطة يكون البيع فاسداً ، لكن فقهاء الأحناف قد صرحوا بأن نوعين من الشرائط يستثنيان من هذه القاعدة .

١— الشرط الذى ورد صراحة جوازه فى نص شرعى .

٢— الشروط التى تروجت و شاعت فى المجتمع .

(١) المدخل الفقهى العام للزرقاء ٢/٩٠٤ .

و لأجل النوع الثانى قد جوز فقهاؤنا الكرام كثيراً من الشروط التى لم تكن رائجة شائعة فى عهد النبى ﷺ بل تروجت فى أدوار مختلفة و أقطار متباينة و قد حاول الشيخ الزرقاء إدخال هذه القضية فى قاعدته الثانية الاستثنائية، و أولها بمساعدة « العناية » شرح « الهداية » هكذا: أن منع الرسول ﷺ عن الاشتراط فى البيع كان لأجل أن مثل هذه الشروط الزائدة تبعث على النزاع فيما بين العاقدين على الغالب .

و قد يحدث النزاع فى نفاذه و طريقة نفاذه، لكن إذا تروج شرط ويقوم عرفه تزول مخافة النزاع ، لأن العلة التى كانت بناء النهى عن الاشتراط قد زالت لكون ذلك الشرط معروفاً رائجاً ، لذا أصبح ذلك الشرط معتبراً به (١) .

و العلة التى قد بينها صاحب « العناية » لكون الشروط الزائدة مفسدة للبيع فيها نفسها نظر ، و القول بأن كل شرط لم يتروج ولم يقم عرفه يوشك أن يكون موجباً للنزاع لا يمت إلى الصحة بصلة ، لأن عديداً من الشرائط التى تكون فى غاية من الصراحة و الوضاحة و من المستحيل أن يحدث فيها نزاع حول طريقة التنفيذ و لكن اعتبرها فقهاء الأحناف مفسدة للبيع كذلك .

مثلا لوباع رجل عبده بشرط أن يعتقه المشترى على الفور أو يدبره ، و كذلك لوباع رجل الدار و يشترط أن لا يسلمها إلى المشترى إلى مدة شهر .

و قد ذكر الفقهاء الكرام فى « كتاب البيوع » ضمن « الشروط الفاسدة » عدة من الشروط التى لو سلمت صحيحة لا يبقى أى امكان للنزاع ، لكن الفقهاء قرروها مفسدة للبيع ، لذلك فان كان النهى عن الاشتراط فى البيع لأجل أنه يخاف منه النزاع فلا يكون معنى لاعتبار مثل هذه الشروط الواضحة الصريحة

(١) يراجع لتفاصيل هذا المبحث « فتح القدير » ٦/ ٧٨—٧٦ ، « العناية على هامش « فتح القدير » ٦/٧٨ — ٧٧ — دار أحياء التراث العربى بيروت .

مفسدة للبيع، لذلك فان السعى الذى قام به الشيخ الزرقاء لادخال القضية المبحوث عنها فى قاعدته الثانية الاستثنائية ليس مصحوباً بالجدوى و التوفيق كثيراً .

و يبدو بالاستعراض الغاير العميق للقضايا التى خصص فيها النص العام بالعرف الحادث الطارىء أن النصوص التى ليست لها دلالة واضحة على معانيها يعنى أنها ظنية الدلالة أو توجد بازائها النصوص الأخرى التى جعلت القضية متنازعاً فيها بين الأئمة ، فى مثل هذه النصوص يجوز الفقهاء الحنفية التخصيص بالعرف الطارىء كما علم من تحقيق العلامة الشامى .

التعارض فيما بين العرف و القياس :

و إن كان العرف لا يتعارض مع النص بل يصادم الأحكام الشرعية التى بينها الفقهاء بالقياس و الاستنباط ، فيترجح العرف لدى معظم الفقهاء سواء كان العرف قديماً أو طارئاً .

يقول الشيخ مصطفى الزرقاء : « و الاجتهادات الاسلامية تكاد تكون متفقة على أن الحكم القياسى يترك للعرف ولو كان عرفا حادثاً ، لأن المفروض عندئذ أن هذا العرف لا يعارضه نص خاص و لا عام معارضة مباشرة ، و العرف غالباً دليل الحاجة ، فهو أقوى من القياس، فيترجح عليه عند التعارض » (١) .

ولا يخفى على دارسى المذاهب المختلفة للفقه الاسلامى أن فقهاء المذاهب كلها قد قاموا بتغيير فى أحكام المسائل الاجتهادية نظراً إلى الأعراف المتغيرة .

و يعلم باستعراض المسائل الاستحسانية فى الفقه الحنفى و المالكى أنه يوجد عدد كبير لتلك المسائل التى رفض فيها القياس لأجل العرف ، وفيما يلى نقدم عدة أمثلة من الفقه الحنفى .

(١) المدخل الفقهى العام للزرقاء ٢/٩١٣ .

١— لا يجوز بيع النحلة و دود القز و شرائها لدى الامام أبى حنيفة رحمه الله ، لأنهما ليسا بمال، و قرر الامام أبو حنيفة النحل و دود القز غير مال قياساً على الدود الأخرى ، لكن لما تروج بيعها و شراءها عاماً أباح الفقهاء بيعهما و شراءهما مقررين أنهما مال و تركوا القياس بازاء العرف .

٢— من مقتضيات القياس أن يسمع القضاة الدعوى و يصدروا الحكم بعد سماع تصريحات الفريقين ، لكن الفقهاء قد تركوا هذا القياس فى القضايا المختلفة لأجل العرف ، مثلا المرأة التى زفت إلى بيت زوجها لو ادعت أن زوجها لم يؤد شيئاً من مهرها المعجل ، لذلك تستحق أن تعطى مهرها كاملا ، لا تكون دعواها قابلة للنظر فيها ، و يرفضها القاضى دون أن يفتش عن الزوج المدعى عليه ، لأنه قد كان العرف فى زمن الفقهاء مأة فى مأة أن المرأة كانت لا تزف إلى زوجها قبل أن تستوفى مهرها المعجل كاملا أو شيئاً منه ، فترك القياس لأجل هذا العرف .

٣— القياس يقتضى أن لا يجوز تسليم الدين إلى رجل آخر غير صاحب الدين أو من ينوب منابه شرعاً — ولياً كان أو وكيلا — ولا يحكم على المديون بالبراءة من ذمته إذا أدى إلى غير صاحب الدين أو خلفه الشرعى ، لكن الفقهاء رفضوا هذا القياس فى بعض المسائل لأجل العرف ، مثلا لو استلم الأب أو الجد عند فقده مهر البنت الباكرة البالغة من الزوج يتبرأ الزوج من ذمة المهر ، ولا تخير المرأة أن تطالب المهر مرة ثانيـــة ، لأن قبض الأب أو الجد على المهر يعتبر قبض المرأة عليه .

إن ذخيرة أقوال الأحناف المعتبرة الموثوق بها التى تشتمل على الكتب الستة للامام محمد تذكر باسم « ظاهر الرواية » .

و يترجح ظاهر الرواية غالباً فى قضية إذا أوردت فيها روايات مختلفة من الأئمة الأحناف ، و ألقى العلامة ابن عابدين الشامى رحمه الله فى رسالته ضوءاً بشئ كثير من الاطناب و التفصيل على أن مسائل ظاهر الرواية التى تبتنى على الاستنباط و القياس لو خالفها العرف ، يرجح العرف على ظاهر الرواية ، ثم قدم العلامة الشامى أمثلة كثيرة لهذه المسائل التى رفض فيها فقهاء الأحناف المتأخرين الاجتهادات الأصيلة لأئمة الأحناف لأجل تغير الأعراف أو حدوث الفساد فى أهل الزمان و أجروا أحكاماً جديدة .

يقول العلامة الشامى بعد ما ذكر عديداً من مثل هذه الأمثلة الفقهية فى صفحات عديدة : « (فهذا) كله و أمثاله دلائل واضحة على أن المفتى ليس له الجمود على المنقول فى كتب ظاهر الرواية من غير مراعاة الزمان و أهله و ألا يضيع حقوقاً كثيرة و يكون ضرره أعظم من نفعه » (١) .

و قد ذكر العلامة الشامى أنه لا يترجح العرف العام بازاء ظاهر الرواية فحسب بل يرجح العرف الخاص على ظاهر الرواية كذلك ، فيقول : « (إن قلت) إذا كان على المفتى اتباع المعروف و إن خالف المنصوص عليه فى كتب ظاهر الرواية ، فهل هنا فرق بين العرف العـام و العرف الخاص كما فى القسم الأول ، وهو ما خالف فيـــه العرف النص الشرعى (قلت) لا فرق بينهما إلا من جهة أن العرف العـام يثبت به الحكم العام و العرف الخاص يثبت به الحكم الخـاص (وما حاصله) أن حكم العرف يثبت على أهله عاماً أو خاصاً فالعرف العام فى سائر البلاد يثبت حكمه على أهل سائر البلاد ، و الخـاص فى بلدة واحدة ، يثبت حكمه على تلك البلدة فقط » (٢) .

(١) مجموعة رسائل ابن عابدين ص ١٢٩ .
(٢) مجموعة رسائل ابن عابدين ص ٣٠ — ١٢٩ .

القضايا العرفية :

و يترشح من دراسة الكتاب و السنة أن العرف يعتبر مصدراً ثانوياً للأحكام الشرعية ، وآلاف من قضايا الفقه الاسلامى تبتنى على العرف والعادة ، وقد تبين الفقهاء الكرام أحكاماً شرعية فى تلك المسائل بناءاً على العرف والعادة ، وما توجد من المسائل العرفية فى أبواب الفقه الاسلامى كلها لاسيما أبواب المعاملات بكثرة يودى استقصاؤها إلى تأليف كتاب ضخم كبير ، وتغير الحكم بتغير العرف فى المسائل التى تبتنى على العرف و العادة أمر بديهى ، وقد أجمع العلماء كلهم على أن الحكم يتحول إلى وفق ما يتقاضاه العرف الحديث المتجدد إذا تغير العرف السابق .

يقول الامام القرافى وهو يجيب عن سؤال وجه إليه حول المسائل العرفية :

« إن إجراء الأحكام التى مدركها العوائد مع تغير تلك العوائد خلاف الاجماع و جهالة فى الدين ، بل كل ما هو يتبع العوائد يتغير الحكم فيه عند تغير العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة ، و ليس هذا تجديداً للاجتهاد من المقلدين حتى يشترط فيه أهلية الاجتهاد ، بل هذه قاعدة اجتهد فيها العلماء وأجمعوا عليها ، فنحن نتبعهم فيها من غير استيناف اجتهاد .

ألا ترى أنهم أجمعوا على أن المعاملات إذا أطلق فيها الثمن يحمل على غالب النقود ، فاذا كانت العادة نقداً معيناً حملنا الاطلاق عليه ، فاذا انتقلت العادة إلى غيره عينا ما انتقلت العادة إليه ، و ألغينا الأول لانتقال العادة عنه . . .

بل و لا يشترط تغير العادة ، بل لو خرجنا نحن من ذلك البلد إلى بلد آخر ، عوائدهم على خلاف عادة أهل البلد الذى كنا فيه ، و كذلك إذا قدم علينا أحد من بلد عادته مضادة للبلد الذى نحن فيه لم نفته إلا لعادة بلده دون عادة بلدنا » (١) .

(١) الأحكام للقرافى ص ٣٢ - ٢٣١ ، تحقيق عبد الفتاح أبى غده .

و فيما يأتى نقدم أمثلة عديدة للمسائل العرفية من الفقه الحنفى :

اللون الأسود كان يعتبر عيباً فى عهد الامام الأعظم رحمه الله و لذلك أفتى أنه لو صبغ الغاصب الثوب المغصوب فى اللون الأسود يكون ذلك قادحاً شائناً ، لذلك يخير المالك أن يتنازل عن ثوبه و يستوفى من الغاصب قيمة ثوبه التى كانت قبل الصبغة ، أو يأخذ ثوبه المصبوغ باللون الأسود و يستوفى من الغاصب قدر ما قل من قيمته لصبغه باللون الأسود .

و بعد ما أقيمت الخلافة العباسية اتخذ العباسيون اللون الأسود شعاراً لهم فتغير العرف فيه ، و جعل يستحسن اللون الأسود فبدل الصاحبان — القاضى أبو يوسف و الامام محمد رحمهما الله — الحكم و أصدرا أنه لا يعتبر صبغ الغاصب الثوب المغصوب باللون الأسود قدحاً وشيناً فى حق الثوب بل يزيد قيمته فيه لذلك ينفذ فى القضية المبحوث عنها الحكم الذى يصدر فى صورة الزيادة فى المال المغصوب من الغاصب ، و لذا يخير رب الثوب أن يتنازل عن الثوب و يستوفى الثمن الذى كان له قبل الصبغة ، أو يأخذ ثوبه المصبوغ و يؤدى إلى الغاصب ما زيد فيه بصبغه باللون الأسود ، لكى لا يكون اغتصاب الحقوق لا للمالك و لا للغاصب .

إذا استأجر رجل طباخاً لطبخ طعام الوليمة فوضع الطعام فى الأوانى و الصحون من واجب الطباخ لدى الامام أبى حنيفة رحمه الله ، و قد أفتى به الامام الأعظم رحمه الله لأن العرف كان هكذا فى عصره فى بلدة « كوفة » وغيرها ، وما بينه الامام أبو حنيفة رحمه الله من حكم شرعى فى هذا الصدد يبتنى على العرف المحض ، لذلك صرح الفقهاء بأنه حيثما يكون العرف خلافه بأنه تنتهى مسئولية الطباخ بالطبخ فحسب يفتى هنالك بخلاف ما ذكر .

دراسات و أبحاث :

الفلسفات الغربيـــة و ارتباطها

بمنهج الحياة و المجتمع

— ٢ —

بقلم : الأستاذ الأديب أنور الجندى

(٤) العلمانيـــة

العلمانية فى كلمة : هى فصل الدين عن المجتمع والدولة وقصره على العلاقة بين الانسان و الله « تبارك وتعالى » وهو ما يعرف بالمفهوم اللاهوتى المسيحى و بعض الأديان هى كذلك ، و لكن الاسلام يختلف فهو جامع بين العلاقتين علاقة الانسان بالله و بالناس ، والاسلام منهج حياة ونظام مجتمع ، ولقد ظهرت فكرة العلمانية فى الغرب نتيجة عدة عوامل ، أهمها موقف رجال الدين من النهضة ، و معارضتهم للكشوف العلمية ومنها هدف اليهود من القضاء على سلطان المسيحية فى المجتمع الغربى حتى تتاح لهم السيطرة السياسية و النفوذ العسكرى ، و من هنا يبدو ذلك البغض الشديد للدين فى فلسفات عديد من الفلاسفة أمثال : نيتشه و ماركس و فرويد .

وقد عمد النفوذ الأجنبى إلى نقل هذه القضية إلى أفق المجتمعات الاسلامية بعد سيطرته على مناهج التربية و التعليم ، و ما تزال الفكرة قلقة لا تجـــد تقبلا حقيقياً فى مجتمع قام على أساس نظام جامع للدين و الدولة .

أما المسيحية فقد كانت مجموعة من الوصايا لأنها تابعة فى شريعتها للدين

الموسوى ، فلما انفصلت ارادت أن تنشئ نظام مجتمع ، فانشأت مفهوماً بشرياً ضاق عن الاحاطة بنظام الله تبارك و تعالى الجامع ، ومن هذه النقطة بدأت أزمات الحضارة و الفكر الغربى .

و الاسلام حين يرفض « العلمانية » التى تنادى بفصل الدين عن الدولة فهو أيضاً يرفض « الدولة الدينية » الثيوقراطية التى تنادى بسيطرة رجال الدين على الدولة .

والمعروف أن دعوات الفلاسفة الماديين قد تركزت على التخلص من قيود الدين تطبيقاً لأهداف الماسونيـــة التى وضعت الخطط لنشر مذاهب الالحاد ، و جاءت الماركسية ، تدعو إلى إنكار الدين جملة وهدمه ، و إقامة دين جديد هو « صراع الطبقات » كمقدمة ضرورية نحو عالم أفضل يكون فيه الانسان سيد نفسه ، و هى دعوى باطلة لم تتحقق و علت فى الغرب الدعوة إلى إلغاء سلطـــة الدين وسلطة الأخلاق واستبدالهما بالحزب ، وقد دعت محافل الماسونية « التى استبدلت أخيراً بمحافل الليونز و الروتارى » إلى الحرية المطلقة و الاختلاط بين الجنسين و إقامة مدن العراة وتشجيع الرحلات والنوادى الرياضية و عدم الايمان بالوطن أو الدين أو الأرومة .

و يقرر بعض الباحثين أن مصدر هذه الفكرة العلمانية Seealarism هو الخلاف بين الدين و العلم ، تلك القضية التى نشأت نتيجة الصراع بين الكنيسة ودوائر البحث العلمى : (وإنه ما كان لهذه الفكرة أن تنقل إلى أجواء الاسلام ، فان الاسلام نشأ حليفا للعلم حاثا عليه) فهى تضع العلم المرتبط بالعالم وبما هو واقعى ومدنى — مقابلا و نقيضا للدين و ذلك لنشأتها و تبلورها فى بنية حضارية شهدت صراعا مريرا بين الدين كما قدمـــه اللاهوت الكنسى الكاثوليكى فى أوربا و كما يصوره

الرأى الرسمى للكنيسة الكاثوليكية، وبين العلم الذى تأسست على قواعده النهضة الأوربية الحديثة، وتصرف النظر عن الموقف الجوهرى للديانة المسيحية و عن الظلم الذى ألحقته التفسيرات الكنسية برأى المسيحية الحقة فى العلم، فالأمر الذى لا شك فيه أن عداء الدين للعلم و الصراع بينهما هو (خاصية كاثوليكية — أوربية) ولا وجه للشبه بين المقدمات و الملابسات التى أثمرت هذا العداء و هذا الصراع، و بين واقع الاسلام و موقفه و رأى أغلب تيارات الفكر الاسلامى و مذاهبه فى هذا الموضوع، فالاسلام لا يمد نطاق علوم الوحى و الشرع إلى كل الميادين الدنيوية التى ترك الفصل فيها و التفسير لعلوم العقل والتجربة الانسانية، و من ثم فقد تآخى فيه العلم و الدين و العقل و النقل و الحكمة و الشريعة و الدنيا و الآخرة عن طريق تحديد المبادىء لكل نمط فكرى لانشاء نظرة متكاملة لتهذيب الانسان و تطوير حياته باعتبار هذا التهذيب و ذلك التغيير الغير ممكنين دون الاستعانة بالأقطاب المتعددة فى ظواهر الفكر و الحياة وليست لقطب واحد من الظاهرة الواحدة، و يتأكد اختصاص العلمانية بالواقع الأوربى وما استقرت عليه المسيحية من نظام الكهانة والكهنوت، ذلك النظام الذى يجعل بين الانسان العادى و بين ربه وسيطا هو رجل الدين و الكاهن، الأمر الذى جعل هناك طبقة أو فئة احتكرت الرأى الرسمى للدين بل وحق الحديث باسم السماء و ما استتبع ذلك من إضفاء القداسة و القدسية على هؤلاء الرجال و المؤسسات التى أقاموها لهذا الدين، و تلك أمور لم يعرفها الاسلام بل هو ينكرها ويشن عليها حربا شعواء.

وحيث تضع العلمانية العلم المرتبط بالعالم و بما هو واقعى و مدنى فى مقابل الدين يضع الاسلام كل العلوم المدنية و الدينية فى دائرة نظامه الجامع ولا ريب

أن تكامل الاسلام و نظرته الجامعة تحول دون قيام هذا المفهوم الذى نشأ فى ظل التمزق الذى أحدثه الفلاسفة و المفكرون الغربيون بين اللاهوت و بين العلم التجريبى، فالاسلام كما يقول الدكتور عبد الصبور شاهين جامع بين عالمى المادة و الروح حيث تلتقى جميع القيم فى تواؤم و انسجام.

و يرى الدكتور شاهين: أن العلمانية فى كل أحوالها مفهوم سياسى (لا حضارى) يستهدف إما فصل الدين عن الحياة، و إما القضاء التام عليه، وكلا المفهومين مرفوض من وجهة النظر الاسلامية.

و المعروف أن العلمانية مصطلح لم يوجد إلا فى ظروف الصراع بين الكنيسة و الدولة حول السلطة، فرأى المفكرون آنذاك أن الحل يكمن فى ابعاد الكنيسة عن السلطة و اطلقوا على الوضع الناشئ عن هذا الابعاد وصف العلمانية، ثم تطور هذا المفهوم حتى جاء ماركس و مدرسته و تطور المفهوم عندهم إلى معنى القضاء على الدين تماما لتحقيق العلمانية الحقة و اطلق عليه اسم (العلمانية المتطرفة).

و يرى الأستاذ فتحى رضوان: أن العلمانية هى رد فعل للارهاب الدينى و لتدخل الكنيسة فى شئون الفكر و البحث العلمى و تربية الأطفال و الشباب و تنشئتهم.

و لما كان الاسلام لم يعرف فى حياته منذ بعث محمد ﷺ ٥٧٠ ميلادية بدين الاسلام حتى اليوم كهنوتا ولا باباوية ولا سلطة دينية تصدع عقول الناس وتشكل أفكارهم فقد استحال أن تنشأ فى بلاد الاسلام (علمانية) ولكن المبشرين و بعض المسيحيين الذين تعلموا فى أوربا اعتبروا (العلمانية) سبيل التقدم و ضمان الحضارة فى بلاد المسلمين، كما أنها كذلك فى بلاد المسيحيين، فقد بشروا بهذه

العلمانية فى بلادنا بغرض آخر هو أن يفرضوا حصاراً على الاسلام لينشأ الطفل المسلم بعيداً عن روح الاسلام و رعايته .

و لقد حقق الاسلام ما سعت إليه علمانية أوربا باحسن السبل و وصل إلى أفضل الغايات فالوالى بحكم دينه عليه أن يوفر لغير المسلمين من مسيحيين و يهود من أصحاب الأديان السماوية أن يعبدوا ربهم بالطريق الذى يختارونه بلا قهر ولا قسر فى المعابد التى يقيمونها بملء حريتهم و أن يقرعوا أجراسهم ويطبعوا كتبهم و مؤلفاتهم وهم يشرحون فيها عقائدهم و يربون أولادهم و ينشئونهم بملء الحرية على الوجه الذى يطيب لهم ، ولم يذكر المؤرخون أن ولاة المسلمين حرموا بحثا فى العلم و لا رأيا فى الدين ولا طريقة فى التماس المعرفة ، و دستور ١٩٢٣ ينص صراحة على ما يتحدى العلمانية و ينكرها تماما إذ نص على أن الاسلام هو دين الدولة فى حين أن الدولة العلمانية لا دين لها ولا مذهب .

العلوم الانسانية و الاجتماعية

بعد أن خدع دعاة العلمانية و المادية المسلمين فى كل مكان بأن ما تقوله الفلسفات فى مجال الأخلاق و الاجتماع والنفس هو من العلم الذى يمثل الحقيقة ، انهار ذلك كله بعد أن كشف العلماء المنصفون أن الفلسفة و الاقتصاد و علم النفس و الاجتماع ليست علوما بالمعنى الحقيقى .

قال سوليفان فى كتابه (حدود العلم) : إن علم النفس لا يمكن اعتباره علما حتى الآن و للمعارف الأخرى مثل علم الاجتماع و الاقتصاد و ما إلى ذلك من النواحى التى لا تعتبر مرضية من وجهة النظر العلمى ، والعلم أقوى ما يكون عليه عندما يتناول العالم المادى أما مقولاته فى الموضوعات الأخرى فتعتبر نسبيا ضعيفة و متلجلجة .

و الحقيقة التى لا بد أن تقال فى هذا المجال هو أن اليهودية العالمية فى مخططها الصهيونى لتدمير البشرية قد جعلت العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية مدخلها إلى تصور يحتقر الانسان و يجعله حيوانا خاضعا لمطامع المعدة و الجنس (على أن النحو الذى أعلنه اليهوديان : ماركس و فرويد) ثم كان لدور كايم ، دوره الخطير فى هدم مفهوم الاجتماع البشرى .

يقول الأستاذ إسماعيل الفاروقى : لقد قامت العلوم الاجتماعية على مبدأ الشك فى تأكيداته و منفياته معتقدة أن المرغوب اطلاقا هو المرغوب فيه فعلا وان السبيل إلى المعرفة الطبيعية (هى استقراء المحسوس) أما المحسوس فهو الرغبات الكافية فى تحركات الانسانية المرئية الخاضعة للقياس الكمى ، أما العلوم الانسانية فلا حقيقة لها أصلا فهى ليست علوما بل آدابا .

« فالعلوم الاجتماعية الحديثة معتمدة شطراً من الحقيقة وهو المحسوس الكمى مفضية عن الشطر الآخر الغير محسوس ، سواء أكان أمراً الهيا أو قيمة مطلقة فى حد ذاتها ، وهى تقوم على دعوة الممارسة الحرة ، التى لا تخضع لمبدأ أو قانون بل تصدر عن الارادة الشخصية مجردة ، فنيتشه فى دعوته إلى القوة و السيطرة ، و الوجودية العدمية على لسان سارتر ، كلها تمجد الممارسة الحرة وقالوا : إن تعارض الممارسات الشخصية لا يقلل من قيمتها و إن أدى إلى المجابهة والتعدى على الغير و إلى تمادى النفس فى استهوائها لنفسها و هبوطها إلى العدم و هكذا تدهورت الأخلاق فى الغرب تدهوراً فظيعاً منذ أن عمت النظرية و تبناها العالم و غير العالم و أخذ الفرد يؤمن أن كل ما يرغبه مبرر ، و بما أن رغبتى المال و الجنس هى أقوى الرغبات الانسانية فقد انحدرت الحياة فى الغرب إلى المستوى الذى تشهده اليوم » .

وقد أثرت هذه المفاهيم على نظرية التربية و على المستوى الجماعى و وجدت العصبية القومية حجتها لتبرير استكبارها على شعوب الدنيا و استعمارها للضعيف منها.

و بعد الحرب العالمية الثانية ظهرت فكرة أن كل ما وراء قوى الطبيعة خرافة و اسطورة و أن على الدين أن يتخلص من كل عنصر ماوراثى مطلق إذ يكمن الشر و الاستبداد فى الماورانية و الاطلاق بالذات و ظهرت نظرية أن المسيحية ليست دين سلام و استسلام لعنصر و أن الجماعة المسيحية لها أن تحارب و تدمر كيف تشاء دون وازع (تبرير الحرب النووية التى شنتها أمريكا على اليابان) .

(٢) دوركايم و نظريته

إن نظرية دوركايم فى العلوم الاجتماعية مشتقة من مفهوم الماركسية والنظرية المادية الجدلية أساساً و هى تلغى وجود الفرد تماماً و تلغى إرادته و مسئوليته، و تعتبر الجماعة مصدر القيم و الثقافة وتقرر أن الأحداث و التغيرات الاجتماعية ليست نتاجاً لمعادلات فردية ، و إن الأفراد فى إطار تفاعلهم مع الجماعة يخلقون و يبدعون و يحدثون أعمالا لا يكون لها تأثيرها إلا بذلك التفاعل مع الجماعة.

و معنى وجهة دوركايم الدعوة إلى الجبرية الكاملة للفرد فى إطار المجتمع و إقراره بعجز الانسان عن تغير المجتمع وضرورة خضوعه له ، و قوله إن العامل الفعال الذى يؤثر فى المجتمع هو البيئة الاجتماعية و هو إلغاء كامل لدور الفرد و هذا هو مفهوم مدرسة العلوم الاجتماعية شهد له الباحثون بالتناقض و الخلط و ترك كثيراً من التساؤلات بلا إجابات و أبلغ خطاه أسبقية المجتمع على الفرد و خضوعه لفكرة البرجماتية « فلسفة الذرائع » و التبعية.

وتسير كتاباته المنوعة فى مسار تأكيد ضرورة انصياع الانسان لما هو قائم و ما هو محيط ، فالظاهرة الاجتماعية إجبارية و إلزامية ، و لقد كشف الباحثون عن اخطائه و معارضته للفطرة و أكدوا أن دراساته وآراءه يعوزها الكثير من الصدق العلمى ، ويرون أنه حاول أن يفهم المجتمع « و لكن برأى مسبق مشتق من مفهوم اليهودية الراغبة فى تدمير المجتمعات » و قد أخذ من سان بيجون و أوجست كونت و ماركس .

و قد أخذ دوركايم يعمل بمعاول هدامة فى كل القيم و المفاهيم الدينية و الأخلاقية و أخذ تلميذه الأكبر اليهودى « ليفى بريل » ينهج نهجه ويسير على طريقه القائم على منهج التشكيك فى القيم والمثل و العقائد و الأخلاق ، و القاعدة التى يقوم عليها فكره : إن كل الظواهر و المظاهر نسبية متغيرة متبدلة لا تثبت على حال و لا تستقر على وضع لأنها فى كل يوم تتبدل الحال بحال و نسمع هذا فى علم الاجتماع والنفس ومادة الأخلاق وتاريخ الأديان ، وهم يستخدمون هذا المنهج لا فساد المجتمعات و تحللها أخلاقياً و دينياً ، و الهدف هو أن يكون المجتمع شاكاً مليئاً بالفتن ، و ذلك سبيلهم إلى الهدم ومن أجل هدفهم تكاتفوا لتكون لهم الكلمة الأولى فى الجامعات وفى العلوم الانسانية (دكتور عبد الحليم محمود) .

و إذا كانت الأخلاق نسبية فهل سيأتى الزمن الذى تعتقد فيه أن الصدق رذيلة و أن الشهامة شر ، و أن الشجاعة سوء أو أن العفة جريمة و فى مجال العقائد هل سيأتى اليوم الذى لا يقول فيه بوحدانية الله « تبارك و تعالى » أو لا يقول بإلاهته و علمه .

لقد اعتبر دوركايم الفطرة هى الجريمة و أن العلاقات الخارجة عن الأسرة هى الفطرة ، و أن المجتمع هو الذى أنشأ العقيدة الدينية و أنه هو المسئول

عن أخطاء الفرد .

و قد فرض دوركايم و مدرسة العلوم الاجتماعية تحويل علم الاجتماع إلى دراسة الظواهر دون أن يكون له أثر فى التوجيه أو تغيير المجتمع فى محاولة أن يكون علم الاجتماع علماً وضعياً له نفس طابع العلوم الطبيعية المادية مما رفضه المفكرون كلية لأن النفس الانسانية لا يمكن أن تخضع لمقاييس العلوم المادية.

و لقد تابع هذه المفاهيم الضالة مجموعة من التعريبين فى بلادنا نقلوا هذه الأفكار إلى مجتمعنا ودعوا إليها وأثاروا الشكوك والشبهات حول حقائق الاسلام فى مفهوم الاجتماع و كان هذا عاملا من عوامل الصيحة القوية التى علت منذ مطالع القرن الخامس عشر إلى أسلمة العلوم و صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية وفى مقدمة من دعا إلى هذا الطيب الذكر الدكتور إسماعيل الفاروقى وجماعته .

و من هنا كانت العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية المطروحة الآن من أخطر العلوم على العقيدة الاسلامية فان أكثرها بنى على افتراضات و مسلمات لها أهداف فاسدة أبرزها الشك فى الأديان وإلغاء الأخلاق واعتبارها مجرد ظواهر نفسية و اجتماعية .

و الانسان فى مناهج الغرب بين قضيتين خطيرتين : قضية تقديس الفرد إلى حد أن تتفكك الدولة أو تقديس الدولة إلى حد أن يسحق الفرد ، أما منهج الله فانه لا يؤدى إلى هذا الصراع .

« و أن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم و صاكم به ، لعلكم تتقون » .

« مكانة الدراية فى رواية الحديث »

— ٢ —

الأستاذ محمد خالد الندوى
أستاذ الحديث بدار العلوم ندوة العلماء
تعريب : محمد أكرم الندوى

علم الدراية : كذلك يرجع تاريخ علم الدراية إلى عهد الصحابة ، اختلف الصحابة فى انتقاض الوضوء بتناول ما مسته النار من طعام و شراب ، فحدث أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : الوضوء مما مست النار ، فقال عبد الله بن عباس أرأيت لو توضأت بماء ساخن ، لم يتهم عبد الله بن عباس أبا هريره بالكذب أوالضعف فى الرواية ، و لكنه رفض حديثه لمخالفته العقل ، و رأى أن أبا هريرة أخطأ فى السماع أو الفقه .

كان عبد الله بن عمر يأمر النساء بنقض ضفائرهن إذا اغتسلن للجنابة فقالت عائشة : يا عجباً لابن عمر هذا يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن » (١) .

أنكرت عائشة مذهب ابن عمر إذ قاس النساء على الرجال فانه يجب عليهم إيصال الماء إلى أصول الشعائر و غسلها جميعاً بالماء ، أنكرت عائشة هذا المذهب بما روت : « لقد كنت أغتسل أنا و رسول الله ﷺ من إناء واحد و لا أزيد على أن أفرغ على رأسى ثلاث إفراغات » (٢) و بالعقل إذ قالت : « أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن » وكان على بن أبى طالب قد عادى رأسه مبالغة فى الطهارة ، فردت عائشة على ابن عمر قوله فى ضوء العقل ، وهذا مايسمى بالدراية .

(١) صحيح مسلم ضفائر المغتسلة . (٢) صحيح مسلم .

لما بدئ عهد التدوين وضع الأئمة و المحدثون أصول الدراية بجانب أصول الرواية ، يقول ابن الجوزى رحمه الله تعالى .

« كل حديث رأيته يخالف المعقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع فلا تتكلف اعتباره » (١) .

و ذكر ابن الجوزى على سبيل المثال حديثاً روى عن أبى الهزم عن أبى هريرة قال قيل : يا رسول الله - ﷺ - مم ربنا؟ من ماء مهور، قال : لا من الأرض ولا من السماء، خلق خيلا فأجراه فعرقت فخلق نفسه من ذلك العرق » .

يقول ابن الجوزى : « هذا حديث لا يشك فى وضعه » .

كذلك لا يوثق بالأحاديث التى تعارض المحسوس و المشاهد و لا تحتمل تأويلا ، ولا يوثق أيضاً بالأحاديث التى ورد فيها عقاب شديد على خطأ صغير أو أجر كبير على عمل تافه ، والتى ذكر فيها لغو ، كحديث ذكاة القرع ، واستدل بعض المحدثين باللغو على كذب راويه .

قد تحف بالراوى قرائن تسقط أحاديثه من منزلة القبول ، لا سيما إذا روى عمن فوقه ما لم يرو غيره و لم يتحقق اللقاء بينهما ، أو أن الراوى تفرد برواية أمر دعت الضرورة إلى اشتهاره ، و قد نص الخطيب البغدادى على ما يتصل بهذا الموضوع فى كتابه « الكفاية » .

لا يصح عندنا ما نص عليه ابن الجوزى من الحكم على الخبر بالوضع إذا عارض العقل ، فان ذلك يفسح المجال لكل شخص أن يتكلم فى الحديث، ويقرر وضع ما أشكل منه على عقله وفهمه، ويصعب حينئذ التحقق مما وافق العقل وما عارضه من الخبر والحديث، فقد يتخطى العقل حدوده، وبناءاً على ذلك فقد اشتهر لدى المحدثين أن الحديث مهما عارض العقل يقبل إذا اتصل سنده برواية الثقات .

(١) الموضوعات ١٠٦/١ .

و قد سلط العلامة شبلى النعمانى فى مقدمة كتابه « سيرة النبى » و بعض مؤلفاته ضوءاً كافياً على هذا الموضوع ، وملخص ما قاله : « من مبادئ المحدثين و أصولهم فى نقد الحديث الدراية و العقل ، فكما أن الخبر يرفض إذا عارض القرآن الكريم من دون أن ينظر فى إسناده كذلك يرفض إذا عارض العقل من دون إلقاء نظرة على سنده .

كتب مولانا عبد الرؤوف الدانافورى و هو يعلق على كلام العلامة شبلى النعمانى : « إن أراد العلامة شبلى بتحكيم العقل أن يرفض كل حديث قصر العقل عن إدراكه فقد تحدث مشكلة كبيرة ، لأن كثيراً من أمور المعاد والآخرة ومن أحاديث الحشر و البعث والنشر و العذاب و ما إلى ذلك من عقائدنا التى لا دخل للعقل فيها ، و قد أخبرنا بها الأنبياء و المرسلون عن ربهم ، فهل ننكرها و نرفضها لأن عقولنا تتقاصر عن إدراكها (١) .

ولكن مولانا الدانافورى لا ينكر أن هناك أموراً يستطيع العقل أن يحكم فيها ، يقول : « هنالك أحاديث يستلزم إقرار صحتها اجتماع النقيضين ، و هذا لا يعارض العقل وحده ، بل يعارض العقل الصريح و البداهة .

عرف من ذلك أن تحكيم العقل فى نقد الحديث ثابت مقرر لدى المحدثين، و لكن لا ينبغى لنا أن نطلق العقل حراً ، يقول الملا على القارئ فى كتاب « الموضوعات » الكبير :

« و قد سئل ابن قيم الجوزية هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط من غير أن ينظر فى سنده ، فقال : هذا سؤال عظيم القدر و إنما يعرف ذلك من اضطلع من معرفة السنن الصحيحة ، و خلطت بلحمه و دمه ، و صار له

(١) أصح السير ، ص ٢١ .

فيها ملكة ، و اختصاص شديد بمعرفة السنن و الآثار ، و معرفة سيرة الرسول عليه الصلاة و السلام و هديه فيما يأمر به و ينهى عنه و يخبر عنه و يدعو إليه و يحبه و يكرهه و يشرعه للأمة ، بحيث كان عليه الصلاة و السلام بين أصحابه الكرام فمثل هذا يعرف من أحواله و هديه و كلامه و أقواله و أفعاله » .

تبين من ذلك أن هؤلاء الأئمة يرفضون الحديث الثابت بالنقل الصحيح إذا عارض العقل ، و لكن لا يطلقون الأمر ، بل يسمحون بذلك فى نطاق حدود و قيود ، فمثلا ما يروى من كلمة « تلك الغرانيق العلى و إن شفاعتهن لترتجى » أنها جرت على لسان رسول الله ﷺ ، أو أن الشيطان أداها بلسانه ﷺ ، فهذه الكلمات تنص على أن رسول الله ﷺ أثنى على الأصنام . و هذا أمر ينافى العقل أشد منافاة ، و يؤدى إلى إضعاف أساس الدين ، و لو حدث ذلك لمرق كثير من الناس من الاسلام .

كتب الامام النووى فى شرح الحديث التالى لباب سجود التلاوة « أنه قرأ النجم فسجد فيها و سجد من كان معه ، غير أن شيخا أخـــذ كفا من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته ، و قال : يكفينى هذا ، قال عبد الله : لقـد رأيته بعد قتل كافراً .

« هذا الشيخ هو أمية بن خلف و قد قتل يوم بدر كافراً و لم يكن أسلم قط ، و أما قوله و سجد من كان معه ، فمعناه من كان حاضراً قراءته من المسلمين و المشركين والجن و الانس ، قاله ابن عباس رضى الله عنهما وغيره ، حتى شاع أن أهل مكة أسلموا ، و أما ما يرويه الأخباريون و المفسرون أن سبب ذلك ما جرى على لسان رسول الله ﷺ من الثناء على آلهة المشركين فى سورة النجم فباطل ، لا يصح فيه شئ لا من جهة النقل ولا من جهة العقل ، لأن مدح إله

عند الله تعالى كفر ، ولا يصح نسبة ذلك إلى لسان رسول الله ﷺ ، ولا أن يقوله الشيطان على لسانه ، ولا يصح تسليط الشيطان على ذلك ، والله أعلم (١) .

و قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ما معناه :

« إن هذه الاعتراضات لا تتفق و الأصول ، لأن الحديث إذا تعددت طرقه و اختلفت مآخذه دل على أن له أصلا » (٢) .

ولئن سلم ذلك لزم أن الشيطان كان قادراً على أن يجرى على لسان رسول الله ﷺ ما أراد من أمور الضلالة و الكفر و الشرك ، و ذلك يعرض الدين كله للشكوك والشبهات ، فلا بد لنا إذاً من أن نقرر أن الراوى أخطأ ، و هذا ما يدل عليه فعل الصحابة و عادتهم .

فمثلا فاطمة بنت قيس التى طلقها زوجها روت أن رسول الله ﷺ لم يأمر لها بالنفقة والسكنى ، فقال عمر بن الخطاب : لا نترك كتاب الله و سنة رسوله لقول امرأة لا ندرى أذكرت أم نسيت (٣) .

لما ذكر عند عائشة حديث فاطمة قالت : «ما لفاطمة خير أن تذكر هذا الحديث» (٤) .

وروى عن قاسم بن محمد أن أم المؤمنين عائشة قالت لفاطمة : «ألا تتقين الله» (٥) .

وروى سويد بن سعيد أن من عشق ، ثم كتم و عف فمات ، مات شهيداً (٦) .

و يقول ابن القيم بعد تفنيد هذا الحديث بالدلائل العقلية .

« فلو كان إسناد هذا الحديث كالشمس كان غلطاً و وهما » (٥) .

---

(١) صحيح مسلم باب سجود التلاوة ٣ : ٧٥ . (٢) فتح البارى ٨ : ٣٣٣ .
(٣) صحيح مسلم ١ : ٤٨٥ . (٤) صحيح البخارى ١ : ٤٨٥ .
(٤) صحيح البخارى ٢ : ٨٠٣ .
(٥) انظر : زاد المعاد ٤ : ٢٧٥ ، و قد ضعفـــه ابن القيم فى روضة المحبين ص ١٨٢ لما فيه يعقوب بن موسى . (٦) زاد المعـاد ٤ : ٢٧٦ .

حتى إن الامام يحى بن معين كذب سويد بن سعيد لروايته هذا الحديث مع أن غيره من الأئمة وثقوه، وقال ابن حجر فى التقريب: «صدوق فى نفسه».

و أخرج مسلم فى صحيحه فى باب الفيئ من كتاب الجهاد أن عباساً و علياً أتيا عمر يختصمان ، فقال عباس لعمر (رضى الله عنهم) : « اقض بينى و بين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن » (١) .

لما كان من المستحيل أن يرمى صحابى غيره من الصحابة بهـذه الكلمات السخيفة طردها عديد من المحدثين من كتبهم ، و يقول المازرى : « إذا انسدت طرق تأويلها نسبنا الكذب إلى رواتها » (٢) .

يتبين مما تقدم من البحث أن ثبوت الاسناد لا يستلزم صحة الحديث ، قد يثبت الاسناد ، و لكن يتضمن المتن ما يشكك فيه ، و تقرر كذلك أن الجامعين الصحيحين كذلك يشتملان على أحاديث تكلموا فيها من ناحية الدراية ، و يصدق ذلك فعل الصحابة .

و ورد فى حديث عمرو بن ميمون أنه رأى فى الجاهلية قرداً زنى ، فاجتمعت القردة و رجمته ، فرفض هذا الحديث ابن عبد البر و أنكر صحته لأنه لا تكليف على القرود ، و لا أى حيوان من الحيوانات ، و لا يوصف فعلها بالزنا ، و لا تنفذ فيها الحدود .

و أما ابن حجر فقد انتقد ابن عبد البر ، و رأى أن ما بنى ابن عبد البر عليه إنكاره من نسبة الزنا إلى غير المكلفين ، و إجراء الحد على الحيوانات غير صحيح ، و أن المنهج للرد و الاعتراض غير سديد . لأنه إن صح الحديث فمعناه أن تلك القرود كانت من الجن .

عرف من ذلك أن بعض العلماء المتقدمين يميلون إلى التحقق من صحة الاسناد ، ولكن أكثر العلماء جمعوا بين المقياسين : صحة الاسناد وأصول الدراية .

(١) صحيح مسلم ، ٢ : ٩٠ . (٢) نفس المصدر .

أصبح العصر الحديث يعير اهتماماً كبيراً بأصول الدراية و يميل إلى تقديم مقياس النقد العقلى ، و من ثم ظهرت بحوث و دراسات تشكك فى المسلمات و اليقينيات منذ قرون ، فمثلا استفاض و اشتهر أن رسول الله ﷺ تزوج من خديجة وقد بلغت أربعين سنة من عمرها ، ومن عائشة و هى بنت ست سنين .

و لكن هل يصح ذلك ، أم ينظر فى الأحاديث الأخرى الواردة فى سنيهما ، و إن تعارضت هذه الأحاديث المختلفة فهل نحكم على راويها أو رواتها بالوهم و الخطأ كما صرح به الشيخ الدانا فورى ، و لكن من المؤسف أنه قد ينسى المرء بعض الضروريات و البديهيات التى يؤمن بها و تطغى روح المخالفة والمعارضة على عقله فيقع فى أوهام وأخطاء أكبر ، فى محاولة دفع وهم أو خطأ .

روى الدانا فورى فى « أصح السير » رداً على العلامة شبلى النعمانى قصة لبحيرة الراهب ، واعتمد فيها على رواية الترمذى ، و رجحها ، و كتب ابن حجر فى الاصابة أن رواة هذا الحديث ثقات ، و لكن الحديث يشمل اللغو ، ففيه أن أبا طالب صرف رسول الله عليه وسلم ، وأن أبا بكر أرسل بلالا معه ، فهذا كله لغو لأن أبا بكر كان كذلك صغيراً فى ذلك الوقت ، ولم يكن معه بلال الحبشى .

و قد ناقش العلامة شبلى النعمانى هذا الحديث من جهة سنده ، و جرح عبد الرحمن بن غزوان ، و ينتهى هذا الحديث إلى أبى موسى الأشعرى ، و إنه لم يلق رسول الله عليه وسلم قبل السنة السابعة من الهجرة ، و لم يعز الحديث إلى صحابى آخر ، فتكلم فيه شبلى النعمانى ، و لكن انظروا إلى « الدانا فورى » كيف يؤول الحديث إذ يقول :

« لا أدرى من أين زعموا أن بلالا هو بلال الحبشى مؤذن رسول الله ﷺ لعله أن يكون بلالا آخر عبداً لأبى بكر » إذا كان هذا هو مبلغ تحقيق الدانا فورى فأنى ساغ له أن يوجه الطعنات إلى غيره » .

كتب الشيخ حبيب الرحمن اللدهيانوى فى كتابه «سيرة عائشة» يروى أن رسول الله

ﷺ تزوج من خديجة وقد بلغت من عمرها أربعين سنة . . . وكانت قد تزوجت من قبل من أبى هالة هند بن نباش بن زرارة التميمى، و ولدت ابنا يسمى هندا ، و بنتاً تسمى هالة ، ثم تزوجت بعد وفاة أبى هالة من عتيق بن عائذ المخزومى ، و ولدت بنتاً تعرف كذلك بهند ، و كانت تكنى بأم هند، و أسلم ابنها هنـــد ، و قد روى صفة رسول الله ﷺ فى الشمائل للترمذى .

هنا ينشأ سؤال أن خديجة ولد لها فى سن الشباب أربعة أولاد ، فلما كبرت ولدت سبعة أو ثمانية أولاد ، و هذا خلاف العادة ، و يؤكد الطب أن المرأة إذا بلغت خمساً وأربعين سنة من عمرها فقدت أهلية التوليد ، فيطعن المستشرقون و أعداء الاسلام فى هذا الحديث و يسخرون من الاسلام .

و أما الروافض و الشيعة فزعموا أنه لما كان من المستحيل أن تلد المرأة هذا العدد الكبير من الأولاد فى الكبر ، فان زينب ، و رقيـــة و أم كلثوم لسن بنات لها ، و إنما ولدت ابنين و بنتاً .

مع أن المؤرخين قد اختلفوا فى سن خديجة ، يقول ابن كثير : « نقل البيهقى عن الحاكم أنه كان عمر رسول الله ﷺ حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة و كان عمرها إذ ذاك خمساً و ثلاثين ، و قيل خمساً و عشرين (١) .

و قال فى مكان آخر و هو يذكر عمرها حين توفيت : « و بلغت خديجة خمساً و ستين و يقال خمسين و هو أصح » (٢) .

أجمع المحدثون على أن خديجة رضى الله تعالى عنها بقيت فى زواج رسول الله ﷺ خمساً و عشرين سنة ، توفيت فى العام العاشر من نبوءته ﷺ ، و يقرر قول ابن كثير: إنها توفيت عن خمسين سنة أنها تزوجت من رسول الله ﷺ فى الخامس والعشرين من عمرها ،ولكن ما اشتهر واستفاض من عمرها خلاف ذلك.

(١) البداية و النهاية ، ٢ : ٢٩٥ . (٢) نفس المصدر ، ٢ : ٢٩٦ .

التفسير و المفسرون

الدكتور يونس النجرامى
رئيس أكاديمية أردو بولاية أترابراديش

١— الشيخ تراب على اللكهنوى .

كان الشيخ أبو البركات ركن الدين تراب على من العلماء المبرزين فى المعقول و المنقول ، ولد ببلدة لكهنؤ سنة ١٢١٣هـ قرأ العربية على الشيخ مخدوم حسين الكهنوى و بعض رسائل المنطق و الكلام و الأدب على الشيخ مظهر على ، و قرأ سائر الكتب الدرسية على المفتى اسماعيل بن الوجيه المرادآبادى و سافر إلى الحرمين الشريفين ، و أخذ الحديث عن المفتى عبد الله سراج المكى ، ثم عاد ، و درس مدة حياته ، و توفى سنة ١٢٨١هـ (١) .

له كتاب شهير فى فن التفسير ، وهو « الهلالين على الجلالين » و تفسير للجزء الأخير من القرآن الكريم ، أكمل هذا التفسير فى عام ١٢٧٨هـ ، و قامت المطبعة النظامية بطبعه و إصداره ، و استفاد المؤلف رحمه الله فى تأليف هذا الكتاب من تفسير الامام الرازى ، و تفسير الكشاف للامام الزمخشرى ، و تفسير البيضاوى للامام البيضاوى رحمه الله ، و حاول فيه حل المشاكل اللغوية فى بعض الأحيان ، و لجأ إلى الحديث النبوى الشريف للايضاح و التبيين .

٢— السيد محمد بن دلدار على اللكهنوى .

ولد محمد بن دلدار على سنة ١١٩٩هـ ببلدة لكهنؤ ، و قرأ على والده من صباه ، ولازمه ملازمة طويلة . و كان والده من كبار العلماء، و فرغ من تحصيل العلوم المتعارفة وله نحو تسع عشرة سنة، فتصدى للدرس و الافادة بعدما أجازه والده إجازة عامة .

(١) راجع للتفصيل نزهة الخواطر ج ٧ ص ٢٠٥ .

كان مجتهد الشيعة ، و إمامهم فى عصره ، و ألف كتبا كثيرة حول مذهبه الشيعى ، وله مصنفات عديدة ، منها كتابه فى مبحث الامامة جواباً عما اشتمل عليه التحفة الأثنا عشرية للشيخ عبد العزيز رحمه الله (١) .

السبع المثانى :

كتب محمد بن دلدار على هذه الرسالة فى فن التجويد و القراءة ، و ذكر فيها كل ما يفتقر إليه القارىء من قواعد التجويد وفقه و علمه ، وتضم هـذه الرسالة خمساً و عشرين ورقة و توجد نسخته المخطوطة فى بلدة رامفور (٢) .

ب— سيد محمد تقى المتوفى سنة ١٢٨٩ه .

الشيخ الفاضل محمد تقى بن حسين بن دلدار على الحسينى أحد العلماء المشهورين بالاجتهاد فى مذهب الشيعة الامامية ، ولد سنة ١٢٣٤ه ببلدة لكهنؤ ، و اشتغل بالعلم على والده وعمه من صباه ، و تخرج عليه . فأجازه والده ، و لقبه أمجد على شاه « أمير أوده » بممتاز العلماء وولاه التدريس فى المدرسة السلطانية (٣) .

و اجتهد محمد تقى بن حسين فى جمع الكتب ، و كان جمع الكتب هوايته و لذلك نرى مكتبته الشخصية حافلة بالكتب النادرة العلمية المجهولة العدد ، توفى السيد محمد تقى سنة ١٢٨٩ه .

ينابيع الأنوار فى تفسير كلام الله الجبار :

يحتوى هذا الكتاب على اجزاء أربعة من بداية القرآن الكريم ، و توجد عدة نسخ مخطوطة لهذا الكتاب فى مكتبة المؤلف الشخصية و مكتبة سلطان

(١) راجع للتفصيل نزهة الخواطر ج ٧ ص ٤١٥ .
(٢) راجع للتفصيل نزهة الخواطر ج ٧ ص ٣٤٠ .
(٣) راجع للتفصيل نزهة الخواطر ج ٧ ص ٤٣١ .

المدارس ، وراعى فيه المؤلف وجهة نظر الشيعة ، لأنه كان من متبعها ، و لهذا التفسير أهمية بالغة من حيث أسلوبه و مباحثه العلمية ، وفيه توضيح لكل مشكلة و قضية ، وعنى المؤلف فيه بالنكات اللغوية ، و أعرض عن المجادلة و المخاصمة ، و إلصاق التهم و المفتريات .

٤— الشيخ محمد قطب الدين رحمه الله :

الف الشيخ محمد قطب الدين تفسيراً للجزء الأخير من القرآن الكريم ، باسم « مرآة القرآن » و قد تم طبع هذا التفسير فى عام ١٢٩٣ه ، و قامت بطبعه عمدة المطابع فى بلدة أمروهه ، وهو يحتوى على ١٦٩ ورقة .

و بحث فيه المؤلف إعراب القرآن و تراكيبه بالاضافة إلى ذكر مطالب القرآن و معانيه .

و كان منهجه فى هذا التفسير أنه يورد الآية أولا ثم يفسر العبارة و يبين المعانى التى تراد منها و تفهم ، و يقوم بشرح الألفاظ و الكلمات ، و يذكر فى النهاية غرضها و هدفها ، يوجد هذا التفسير فى مكتبة رامفور .

٥— الحافظ عبد العلى النغرامى .

إن تاريخ بلدة نغرام مجهول إلى حد كبير ، ولكن لا يخفى على أرباب العلم أن تاريخ هذه البلدة المغمورة فى التاريخ عامر بعلماء كبار خدموا الكتاب و السنة ، و صنفوا ، و درسوا ، و تتشرف بأنها قد أنجبت رجالا عاملين مخلصين كان لهم تأثير كبير فى حياة المسلمين فى الهند ، و فضل كبير فى محو البدع ، و إزالة المحدثات و إصلاح العقائد ، و الدعوة إلى الدين الأصيل الحنيف ، و اتباع السنة السنية .

و فى مقدمة هؤلاء العلماء الذين برزوا خلال مأتى و نصف ، و نوروا ما جاورهم من البلدان و القرى :

(١) مولانا نظام الدين النكرامى . (٢) مولانا فخر الدين النكرامى . (٣) مولانا حفيظ الله شائق النكرامى . (٤) الحافظ عبد العلى النكرامى . (٥) مولانا ادريس النكرامى . (٦) مولانا عبد الحليم النكرامى . (٧) مولانا محمد سليم النكرامى . (٨) مولانا الحافظ خليل الرحمن النكرامى . (٩) الحاج محمد احسن الوحشى النكرامى . (١٠) مولانا محمد انيس النكرامى . (١١) مولانا عبد الرحمن النكرامى . (١٢) مولانا مطلوب الرحمن النكرامى . (١٣) مولانا محمد اويس النكرامى الندوى

فنختار من بين هولاء العلماء الكبار الحافظ عبد العلى النكرامى رحمه الله ، الحافظ عبد العلى بن عبد الرحمن المعروف ببير على ، ولد ببلدة نكرام سنة ١٢٣١هـ ، و تلقى دراسته الأولى من خاله الحافظ علم الله ، ثم أقبل على حفظ القرآن الكريم ، و نال هذا الشرف العظيم فى مدة قصيرة ولازم أمين الدولة ما دام يتلقى دراسته ، ثم رحل إلى بلدة لكهنؤ للحصول على الدراسات العليا ، و قرأ هناك على أساتذة ذكر أسماءهم مؤلف ساغر علوى ، وهى كما يلى :

(١) مولانا سيد أنور على مرادآبادى . (٢) مولانا محمد مبين لكهنوى فرنگى محلى . (٣) مولوى سعد الدين حيدر . (٤) مولانا خادم أحمد ، (٥) مولانا أبو البقاء اللكهنوى . (٦) مولانا محمد قاسم . (٧) مولانا أوحد الدين النكرامى (١) .

وصرح مؤلف تذكرة علماء الهند أن الحافظ عبد العلى قرأ على خاله الذى كان حصل على الاجازة من الشيخ مرزا حسن على المحدث ، و أما الشيخ مرزا حسن على المحدث نفسه فقد حصلت له الاجازة من قبل الشيخ عبد العزيز رحمه الله (٢) .

(١) ساغر علوى ص ٤ . المؤلف . محمد أحسن وحشى النكرامى .
(٢) تذكرة علماء الهند ص ٣٠٦ .

عنى الحافظ عبد العلى رحمه الله بالعلوم الباطنية بعد ما أكمل دراسته فى العلوم الظاهرية ، و حضر إلى القاضى عبد الكريم رحمه الله ، فقال القاضى عندما رآه أن هذا الولد يكون له شأن ، وفوض أمره إلى خليفته گلزار شاه ، فأحسن تربيته و تعليمه و تزكيته .

كان أمين الدولة وزير دولة أوده ، رفيق درسه ، و صديقه من نعومة أظفاره ، و كان له نفوذ كبير فى الديوان الأميرى ، ولكن الشيخ الحافظ عبد العلى عاش عفيفاً فى غنى عن الاستعانة به ، و لم يبد أى رغبة فيها قط ، و فى يوم من الأيام كان الحافظ عبد العلى يمر بشارع من شوارع بلدة لكهنؤ ، فعرض له مركب أمين الدولة ، لأنه كان يمر بذلك الشارع حينذاك ، فتعانقا ، و قد حكى مؤلف ، كتاب « علماء نكرام » هذه القصة بأسلوب شيق نقتبس منها :

لما وقع نظر أمين الدولة على رفيق درسه الحافظ عبد العلى عرفه ، و أصدر أمره لايقاف مركبه ، و تعانقا ، و تبادلا الشكوى ، لكن استبق الحافظ عبد العلى إياه و غيرته بهذه المناسبة .

و أخذ منه أمين الدولة موعداً لتشريف البلاط الملكى بقدومه الميمون ، و انصرف ، ففى اليوم الثانى قدم الحافظ عبد العلى إلى قصر أمين الدولة ، و كانت حياته كلها نموذجاً للخلق الاسلامى فى البساطة و العفاف ، و التواضع و القناعة ، فدخل بثياب صفيقة ، ونعل ممزقة مغبرة ، لأنه كان وصل إليه بعد ما طوى مسافة بعيدة مشياً على الأقدام ، فدخل عليه ولم يبال بأبهة البلاط ، و الآداب الرسمية وهو لا يعبأ بهيئته و مكانته ولم يبد من وجهه الفزع و الدهشة ، أو الاستغراب .

ولما رأه الوزير توجه إليه وقام للتكريم له و الترحيب به فتحير كل من فى

البلاط من هذا التكريم الحار و الحفاوة البالغة ، و زادهم الدهشة عندما وجدوا العرش الذى كان لا يقدر الرؤساء و الأمراء و الأعيان أن يضعوا رؤسهم عليه ، يطأه الشيخ عبد العلى بأقدامه .

و ألح عليه أمين الدولة خلال الحديث معه بأن يطلب منه شيئاً ، لكنه لم يجد إجابة منه إلا الصمت الدائم فعرض عليه منطقة منكرائل بمديرية أناو بنفسه ، و أصر عليه اصراراً لقبوله كان لا يمكن بعده الرد و الانكار .

وصل الشيخ ميان خدا بخش قرين الشاه عبد العزيز رحمه الله إلى بلدة منكرائل ، و اجتمع بالحافظ عبد العلى ، وقال له برأفة و محبة : إن الله سبحانه و تعالى قد أنعم عليك بنعمة الاسلام و نعمة الدين و العلم ، فلا قيمة لهذه الوظيفة التى تشغلها أمام هذا المنصب الجليل الذى منحه الله إياك ، و هو منصب الدعوة والارشاد ، فان كنت لا ترشد خلق الله ، وتهديهم إلى سواء السبيل فعلى أمتنا السلام ، و أمرنا إلى الله سبحانه و تعالى .

و استطرد يقول إن اللغة الفارسية تكفيك للتقرب إلى السلطان ، ولكنك اجهدت نفسك ، و بذلت جهداً كثيراً فى الدراسة ، و حصلت على علم الكتاب و السنة ، فيجب عليك أن تخدم دينك ، و تنشر علمك ، و تتصدى لبث الحق و أحكام الشريعة .

خرجت هذه الكلمات من القلب فوصلت إلى القلب ، فكتب استقالته ، وقدمها إلى أمين الدولة بعد وصوله إلى مدينة لكناؤ على الفور ، و لم يسترجعها رغم إلحاح أمين الدولة وترغيبه وتحريضه ، و قضى حياته كلها فى نشر الاسلام ، و بث تعاليمه ، و تبليغ رسالته .

و كان من ميزة الحافظ عبد العلى أنه بدأ دعوته من بيته و أسرته ،

التى كانت البدع فيها شائعة ، و تسربت إليها المحدثات ، فتاب على يده عدد كبير ممن وفدوا من رائى بريلى ، وباره بنكى ، و فيض آباد ، و جونبور ، وسلطان بور ، و برتاب غره ، و أناؤ ، و بايعوه

و مما يذكر من وقع خطبه ، و تأثير كلماته أنه لم يضع قدمه فى بيت إلا وطهره من أقذار الشرك و البدعة ، و من أخذ يده للبيعة نال ثروة العلم و العرفان .

و استفاد أصحاب الولايات أيضاً من محاولات الحافظ عبد العلى الدينية و العلمية ، و يرجع إليه الفضل فى إصلاح عقائدهم ، و تنوير عقولهم ، وغرس الأفكار السليمة فى قلوبهم .

توفى الحافظ عبد العلى فى شهر شوال سنة ١٢٩٦هـ الموافق عام ١٨٧٩م ببلدة نغرام ، و دفن بها .

خدماته العلمية :

واصل الحافظ عبد العلى تأليف الكتب بالاضافة إلى إلقاء الكلمات والوعظ والتدريس ، و كانت المناظرة و المجادلة الكلامية قد نالت رواجاً وقبولا فى تلك الأيام ، وكان العلماء متأهبين للخوض فيها فى كل وقت ، فلذلك اضطر الحافظ عبد العلى فى بعض الأحيان إلى المشاركة فى المناظرة و المساهمة منها على الرغم من أنه كان يكره ذلك ، و لا يحب أن يقع فيها .

و إليكم قصة مناظرة جرت بين الحافظ عبد العلى و بين أهل البدع و هى تدل على ذكائه . و دقته ، و علمه الوسيع و فصاحة لسانه ، فيقول محمد أحسن الوحشى مؤلف كتاب « ساغر علوى » .

إن رجلا من المبتدعين قد اغتر بعلمه ، و انخدع بفصاحة لسانه و قوة

ذاكرته ، فهفا إلى المناظرة ، وطار شوقاً إليها ، فوصل النبأ إلى الحافظ عبد العلى ، و قبل تحديه ، فأقيم الحفل ، و احتشد الناس و برز كلاهما على المنصـــة فى دوى من التصفيق .

بدأ العالم المبتدع الكلام بقوله إن الحافظ عبد العلى يعرف اليوم حقيقة المناظرة ، و يعرف ما هى ؟ و كيف تجرى ؟ .

و نطق بكلمة المناظرة بكسر الضاد ، فأجاب الحافظ عبـــد العلى ببساطة أن الكلمة الصحيحة ، و النطق الصحيح لكلمـة المناظرة هو بفتح الضاد ، فعليك أن تغير الكسر بالفتحـــة أولا ثم تتقدم ، فخجل ذلك المبتدع ، و قال : كان ذلك علطة منى فقال بالأردية نعم كان ذلك غلطاً ، و نطق بكلمة الغلط بسكون اللام ، فأخذه الحافظ عبـــد العلى ، و قال حرك حرف اللام بالفتحـــة فبهت و فزع ، و واصل الكلام باضطراب شديد فوقع فى خطاء آخر كبير ، و لفظ الكلمة الخيال بكسرة الخاء فنبهه الحافظ عبد العلى على الفور ، وقال الخيال بكسره الخاء خطأ كبير ، فعليك أن تتجنب مثل هذه الأخطـاء ، فصفق الجميع و بهت المبتدع و هرب و قد ذكر مؤلف كتاب ساغر علوى الكتب التى ألفها الحـافظ عبد العلى ، كما يلى :

(١) تفسير آيات الأحكام . (٢) تقـــدير حق . (٣) (مولود شريف) بالأردية . (٤) انشاء فارسى . (٥) انشاء عربى . (٦) تحقيق الأمور فى حدوث الفاتحـــة و النذور . (٧) التحقيق فى المولد و القيـام . (٨) كاسر الأسنان . (٩) العوارض عـــلى من أنبت الحفـاظ فى الروافض (١٠) اليواقيت اللطيفه فى تاييد مذهب أبى حنيفة . (١١) التحرير فى حرمة المزامير . (١٢) السكين المسلول در ثبوت استحباب مسح الرقبة . (١٣) نور الايمان فى تأييد مذهب النعمان . (١٤) رسالة رد المبتدعين .

و ذكر مؤلف تذكرة علماء الهند كتاباً آخر له ، و هو « هداية الأنام إلى خرقة المشايخ العظام » .

تفسير آيات الأحكام :

يمتاز هذا الكتاب المعروف بتفسير آيات الأحكام بالدقة العلمية والمعنوية .

و له ميزة كبيرة أخرى ، و هى أن الآيات فيه قد رتبت على ترتيب فقهى ، إن الكتب التى ألفت حول أحكام القرآن إلى الآن ، راعى فيها المؤلفون ترتيب السور ، و ألفوا كتبهم فى التفسير وفقاً له .

أما هذا الكتاب الذى نتحدث عنه ، فنسقت أبوابه وفق تنسيق فقهى ، ثم جمعت الآيات فى فصول مختلفة ، وترجمت ، و كتبت الحواشى المفيدة عليها ، و ذكرت الأحاديث ، و عرضت مذاهب الأئمة الأربعة ، و أشار المؤلف رحمه الله فى هذا التفسير إلى التفسير الأحمدى لملا جيون مراراً ، و يبدو من ذلك أن التفسير الأحمدى كان بين يدى المؤلف لدى تأليف هـذا التفسير ، تفسير آيات الأحكام ، و لهذا الكتاب أهمية بالغة من بين الكتب التى ألفت حول أحكام القرآن فى الهند ، و ذكر مؤلف الثقافة الاسلامية هذا الكتاب فى كتابه نظراً لأهميته و قيمته .

و كذلك عند ما تلقى النواب صديق حسن خان هذا الكتاب كتب إلى الحافظ عبد العلى رسالة بالعربيـة ، و اعترف فيها بفضله و عمله و ذكائه و قال إننى أيضاً ألفت كتاباً حول أحكام القرآن لكن كتابه يمتاز عنه بكثير من حيث العلم .

وقامت المطبعة المحمدية فى بمبائى بالطبع الثانى لهذا الكتاب فى عام ١٢٦٦هـ و أما الطبع الأول له فكان أصدر فى لكنؤ فى عام ١٢٦٢هـ .

حيدر آباد تواجه أزمة هوية

بقلم : دكتور ظفر الاسلام خان

تعود قصة حيدر آباد إلى سنة ١٥٩١م حين وضع محمد قلى قطب شاه الحاكم السادس لمملكة غولكندا أساس هذه المدينة و أمر بأن يتم تخطيطها كمدينة « لا مثيل لها فى العالم » ، و برزت حيدر آباد منذ سنة ١٧٢٤م حين استقل « نظام الملك » آصف جاه بدولته التى اقتطعها من الامبراطورية المغولية التى كانت قد مالت إلى الانحطاط فى أعقاب وفاة الامبراطور أورنغزيب ، و أصبح « النظام » ، و هو اللقب الذى اختاره ملوك حيدر آباد لأنفسهم ، حليفاً للانجليز سنة ١٧٩٨م و شارك إلى جانب القوات الانجليزية ضد مجاهدى الحرية مثل « نمر ميسور » تيبو سلطان ، و كانت حيدر آباد أكبر إمارة هندية خاضعة للاستعمار البريطانى ، و كانت الامارات الهندية قد خسرت سيادتها لقاء سماح الانجليز لحكامها بادارة إماراتهم تحت إشراف « المقيمين » البريطانيين ، وهذه الامارات الصغيرة و الكبيرة ، التى كانت تفوق ٥٠٠ إمارة ، كانت تمثل نحو ثلث الهند البريطانية ، و كانت تحت حكم بريطانى غير مباشر فى ظل ما كان يسمى « بالسيادة البريطانية » (British Paramountcy) ، و لعب سالارجنغ ، أول رئيس وزراء حيدر آباد خلال سنوات ١٨٥٣ — ١٨٨٣م دوراً كبيراً فى تحديث الامارة ورفع مستواها الاقتصادى ، و كان قد بدأ كمتواطىء مع الانجليز فحال دون اشتراك قوات حيدر آباد وكذلك قوات ولايتى مدارس و بومبائى فى

الثورة الكبرى على الاستعمار الانجليزى سنة ١٨٥٧م إلا أنه أخذ يخنق على التدخل البريطانى فى وقت لاحق وحاول أن يحقق الاستقلال لحيدر آباد بالقدر الذى كان ممكنا فى تلك الظروف .

وحين استقلت الهند سنة ١٩٤٧م أراد « النظام » عثمان على خان أن تبقى إمارته مستقلة أو أن تنضم إلى باكستان ، فقام الجيش الهندى — المتفوق كثيراً على قوات حيدر آباد — بغزو الامارة و احتلالها فى سبتمبر ١٩٤٨م فيما أسمته السلطات الهندية تمويهاً بـ « عملية الشرطة » (POLICE ACTION) ، و تمكنت القوات الهندية من إلحاق الهزيمة بقوات النظام وفيالق « الرضاكار » (المتطوعين) خلال خمسة أيام من هذا الغزو ، و كان المنطق الهندى يقول بأن حيدر آباد من حق الهند لأن الهندوس يمثلون غالبية سكانها (و تجاهلت الهند المبدأ نفسه بسهولة فيما يتعلق بامارة كشمير ذات الغالبية الاسلامية و التى كان ينبغى أن تكون من نصيب باكستان طبقاً للمعيار نفسه) و كانت مساحة إمارة حيدر آباد ضخمة (٨٢٫٣١٣ ميلا مربعاً مع ١٨٫٦ مليون من السكان سنة ١٩٤٨م) لدرجة أنه تم توزيعها على ثلاث ولايات هندية هى ولايات آندهرا براديش و ميسور و مهاراشترا سنة ١٩٥٦م حين جرى إعادة تقسيم الولايات الهندية على أساس لغوى ، و كانت خسارة المسلمين كبيرة فى أعقاب « عملية الشرطة » المزعومة التى رافقتها المجازر و انتهاك الأعراض و تدمير الممتلكات و استيلاء الحكومة الهندية عليها ، راجع كتاب (Omar Khalidi - ed), Hydrabad after the fall, Cambridge MA (USA), 1990) - و كانت القوات الهندية قد تمكنت من هذا الاحتلال السريع للولاية بسبب استسلام « النظام » وأمره للجيش الحيدرآبادى بالاستسلام أمام القوات الغازية ،

ولقاء هذا نصبته الهند حاكماً دستورياً على إمارة حيدر آباد إلى أن قرر التقاعد بنفسه سنة ١٩٥٦م ، وقد مات « النظام » عثمان على خان ، و هو آخر ملوك حيدر آباد ، سنة ١٩٦٧م ، و استمر مسلمو حيدر آباد يعانون من الاضطهاد لثلاثة عقود ، و قد شهدت هذه المنطقة عدداً من الاضطرابات المعادية للمسلمين و هى تمر هذه الأيام (أواخر أكتوبر و نوفمبر و ديسمبر الحاليين) بموجة من اضطرابات دموية معادية للمسلمين .

و كان إلغاء النظام الاقطاعى فى حيدر آباد — شأنها فى ذلك شأن بقية أنحاء الهند — مضراً بمصالح النخبة المسلمة اقتصاديا و رافقها إلغاء الأردية كلغة رسمية للامارة ، الأمر الذى أضر بالمسلمين ثقافياً و اقتصادياً وقلل كثيراً من فرصهم للحصول على الوظائف الحكومية ، و لا يزال ١٥ فى المائة من سكان ولاية آندهرا براديش و ٥٠ فى المائة من سكان مدينتى حيدرآباد — سكندرآباد التوأمين يتحدثون بالأردية ، و يبلغ تعداد المسلمين فى الولاية نحو ١١ فى المائة ، أما فى مدينة حيدرآباد — سكندر آباد فيبلغ المسلمون نحو ٤٠ فى المائة من السكان البالغين ما يزيد على ثلاثة ملايين نسمة .

و المسلمون يمثلون الغالبية فى بعض مناطق المدينة القديمة من حيدر آباد إلا أنهم يعانون من تخلف اقتصادى وتمييز فى الوظائف و الخدمات الحكومية ، و مناطق المسلمين بحيدر آباد ، شأنها فى ذلك شأن غيرها من المدن الاسلامية الهندية مثل دهلى و لكناؤ ، وتبلى وتتعفن نتيجة الاهمال المتعمد و انعدام الخدمات و التنمية ، و بعض مناطق حيدر آباد مثل تشار مينار و ياقوت بوره تعانى من كثافة سكانية عالية تبلغ ٤١ نسمة فى الكيلومتر المربع الواحد ، وهو من أعلى النسب فى الهند ، ونظام المجارى تحت الأرض الذى وضع سنة ١٩٣١م فى

ظل حكومة « النظام » لا يغطى إلا ثلث المدينة القديمة ، و آخر مرة بنت الحكومة مستشفى عاماً بالمدينة القديمة كان فى أيام « النظام » ، و لا تخصص حكومة الولاية لتنمية المدينة القديمة إلا خمسة فى المائة من ميزانية المدينة ، و يتضح هذا من حقيقة أنه خلال الخطة الخماسية السادسة حصلت المدينة القديمة بحيدر آباد على مبلغ ٢٠ مليون روبية (٦ر١ مليون دولار) بينما خصصت لبقية المدينة التى يسكنها الهندوس بنسبة عامة مبلغ ٢٢٦ مليون روبية (٨ر١٨ مليون دولار) .

و مجلس اتحاد المسلمين ، الذى يقوده الآن صلاح الدين أويسى ، و هو نائب بالبرلمان الهندى عن مدينة حيدر آباد ، هو أكبر المجموعات السياسية بالمدينة منذ الانتخابات البلدية فى فبراير ١٩٨٦م ، و كان مجلس اتحاد المسلمين قد توقف عن النشاط فى أعقاب الغزو الهندى سنة ١٩٤٨م ، و تم إحياؤها بعد ذلك بعشر سنوات ، و صلاح الدين أويسى هو فى مقدمة المدافعين عن حقوق المسلمين فى الهند ، و قد ظهر كزعيم مسلم له صوت مسموع على مستوى البلاد كله .

و هناك محاولات مستمرة لاعادة كتابة تاريخ حيدر آباد و التقليل من دور المسلمين فى تاريخها ، وقد قام كبير وزراء الولاية السابق ن . ت . راما راؤ سنة ١٩٨٦م ، بتكلفة ٤٥ مليون روبية ، بوضع تماثيل برونزية لثلاثة و ثلاثين اعتبرهم (أعظم) عظماء تاريخ الولاية ، و قد وضعت هذه التماثيل على طول السد الممتد عبر كيلو مترين ببحيرة حسين التى تفصل بين مدينتى حيدر آباد و سكندرآباد ، و لم يجد إلا ثلاثة مسلمين ، أحدهم زعيم نقابى شيوعى معاصر ، مكانا فى قائمة (أعظم) شخصيات هذه المنطقة التى بناها و عمرها المسلمون !

و من شواهد تقلب الأحوال أنه ليس هناك مسلم واحد بين الأعضاء الخمسة و الخمسين لبورصة حيدر آباد كما أنه ليس هناك مسلم واحد فى هيئة حكام البورصة البالغ عددهم عشرة أعضاء .

و حيدر آباد تحتوى العديد من الجامعات و مؤسسات البحث العلمى مثل الجامعة العثمانية و معمل البحث و التطوير الدفاعى الذى يطور برنامج الصواريخ الهندى ، ومن أهم معالم حيدر آباد مسجد مكة ، أكبر مساجد جنوب الهند ، وهو مسجد أقيم على غرار الحرم المكى ، و الكورنيش الخارجى للمسجد مبنى بالطوب المتخذ من تراب مجلوب من مكة المكرمة ، و يوجد بحيدر آباد ، كذلك ، متحف سالار جنغ ، و هو أكبر متاحف آسيا و به ٤٣ ألف قطعة فنية وصناعية ، و من مقتنياته تسعة آلاف مخطوط ، و كان سالار جنغ الثالث رئيس وزراء النظام ، قد أنفق نحو ٣٥ مليون روبية عبر ٣٥ سنة لاقتناء هذه المجموعة الشخصية التى تملكها و تديرها الدولة الآن ، و دائرة المعارف العثمانية ، و هى مؤسسة أبحاث و نشر (النظام) ، قد أسدت خدمات جليلة للاسلام بتحقيق و نشر كثير من المخطوطات العربية التى كانت حبيسة مكتبات شرقية و غربية ، و مجلتها العلمية (Islamic Culture) قد أحرزت مكانة مرموقة فى حقل الدراسات الاسلامية .

لقد تغيرت هوية حيدر آباد فى أعقاب أربعة عقود من الحكم الهندى ، و كما حدث مع مراكز أخرى للثقافة الاسلامية فى شبه القارة الهندية ، مثل دهلى و لكناؤ ، فقد خسرت حيدر آباد ثقافتها المتميزة ، و الأحياء الاسلامية ، التى تمثل نواة معظم المدن الهندية ، هى تحتضر هذه الأيام من جراء الاهمال المتعمد ، لقد تركوا آثار الماضى المجيد لتتفسخ و تموت موتاً طبيعياً ، و يبدو أن

النخب الحاكمة الجديدة لا يمكنها أن تمارس عدم الاكتراث أكثر من هذا بمآثر تتعلق بحضارة الاسلام فى شبه القارة ، و آثار حيدر آباد و غولكندا وبيدر من إمارة حيدر آباد ، تبلى تدريجياً مثل غيرها من مآثر التاريخ الاسلامى فى الأماكن الأخرى من البلاد ، ويوجد بحيدر آباد ٦٤ أثراً يمثل عشرة طرازات معمارية مختلفة . . و لحق بمعظم هذه الآثار ضرر كبير لا يمكن تداركه الآن ، رغم أن هيئة الآثار الهندية قد صنفتها كآثار يجب المحافظة عليها ، و قصر محبوب ، الذى بناه النظام السادس ، يحكى بصمت قصة تفسخه واندثاره التدريجى ، و قصر النظام الرسمى الذى يسمى بقصر الملك (King Kothi) والذى استولت عليه الحكومة الهندية فى أعقاب الغزو ، هو مستشفى حكومى متداع الآن .

و اللباس الاسلامى المتميز المتكون من الطربوش التركى و « الشيروانى » (و هو سترة طويلة) اختفى الآن تقريباً من حيدر آباد و الثقافة الحيدر آبادية المهذبة هى الأخرى قد تراجعت أمام أسلوب حياة ريفى وتجارى ، وتقلد النخب الجديدة الغرب تقليداً أعمى ، و كان بعض سكان حيدر آباد قد بدأوا « حركة إنقاذ حيدر آباد » سنة ١٩٨٨م إلا أنها انتهت بدون أثر يذكر ، و قد شهدت الثمانينيات صحوة إسلامية واتجاها لفرض المطالب الاسلامية ، وقد تحسنت أوضاع مسلمى حيدر آباد من جراء توجه العمالة إلى بلدان الخليج و الغرب ، وخصوصاً الولايات المتحدة ، فى السبعينيات و الثمانينيات ، و قد أثر هذا كثيراً فى وضع المسلمين فى حيدر آباد و غيرها من مناطق آندهرا براديش .

ديناميكية الاسلام و مسئوليات المسلمين

واضح رشيد الندوى

يختلف وضع المسلمين عن وضع الأمم الأخرى باعتبارات كثيرة، منها أن المسلمين كانوا غالبين و قاهرين فى الماضى، حكموا دولا كثيرة فى القارات الثلاث آسيا و أفريقيا و أوربا، و تركوا آثاراً خالدة فى كثير من مجالات الحياة، و الفكر، و الفن، فيعتز المسلمون بهذا التاريخ المجيد، و يفتخرون به، و يعتزون بأمجادهم و أبطالهم، و علمائهم، و نوابغ تاريخهم، وليس من اليسير أن ينسوا ذلك العهد الذى كان عهد سيادتهم و مجدهم وهو عهد قريب، متصل بالعصر الحاضر، ولا يرجع إلى آلاف السنين الغابرة.

و الاعتبار الثانى هو أن الدين الذى ينتسب إليه المسلمون هو الحق المبين، و يعتقد المسلمون أنه خير الأديان، و أنهم خير أمة، وهو شعور طبيعى له مبررات كثيرة، فقد غلب هذا الدين على الأديان الأخرى فى العهد القريب و بفضل هذا الدين و العمل به وصل المسلمون من حالة الذلة و المهانة و التشريد، و الأذى إلى العزة و الكرامة، و الاستخلاف، و السيادة المطلقة، ولم يكن فضل هذا الدين على القبائل العربية أو البربرية وحدها، و إنما امتد ظله إلى قبائل آسيا الصغرى، و القبائل الوحشية فى أفريقيا، فقد كانت هذه القبائل تعيش كالوحوش و كانت حياتها بلا نظام و لا قانون، فكانت تعتمد على أعمال النهب و السلب، فلما اختمت بالاسلام و انتسبت إليه و قبلت دعوته ارتقت إلى مستوى القيادة للانسانية، والسيادة العالمية، و ملكت مصير العالم بما فيه أوربا قرونا طويلة.

لقد وحد هذا الدين المتحاربين من قرون عديدة، و ألف بينهم، و أزال جهلهم، و رفع مستواهم، وحل مشاكلهم، و شرح صدورهم، و رفع عنهم الأغلال التى كانت عليهم، فوجد فيهم علماء و باحثون، و فلاسفة و حكام مدبرون، و اقتصاديون، و إداريون، تولوا زمام الأمور فى مناطق شاسعة، و زالت العصبيات و القوميات، و الأنانيات، التى كانت تفرق بين الطوائف و الأجناس، و اجتمعت القوى العالمية أو القوميات العالمية الكبرى، و الفلسفات العالمية الكبرى و تألفت فى العاصمة الاسلامية، و تظافرت الجهود فى ظل هذا الدين.

كان هذا الدين الذى ينتسب إليه المسلمون دين انطلاق و اندفاع، دين دعوة، و جهاد، يتصف بالديناميكية التى تفجر كل شئ جامد، فانطلق المسلمون دعاة مجاهدين، من ديارهم، و نال الذين خرجوا فى سبيل الله، درجة أعلى من القاعدين، و الذين خرجوا فى سبيل كسب العلم نالوا درجة أعلى من الزهاد و العباد القاعدين، و نال العلم، و الجهاد فى سبيل إقامة مجتمع عادل، و إخراج الانسان من الظلم و الظلام كرامة، وغدا وسيلة للتقرب إلى الله.

كان هذا الدين دين بساطة، و تواضع، دين احتساب، و محاسبة للنفس، دين إيثار، و تعفف فى وجه الحضارات التى كانت تقوم على الكبرياء، و الغطرسة و العنجهيات، و النخوة القومية، و الشعور بتفوق جنس على جنس، لا يتساوى فيها مختلف أجناس البشر، فكان هذا الدين عنصر تغير جوهرى، و انقلاب فى كل مجال.

كان يوجد صراع بين الدين و الدولة، و بين الدين و العلم، و بين الدين و العمل، و كان يؤدى هذا الصراع إلى طغيان بعضه على بعض، ولكن الدين الاسلامى أزال هذا الصراع، و الازدواجية، فأوجد وحدة بين مختلف قطاعات الحياة، و العمل، و أحدث الشعور بالمسايرة، و التعاون بين مختلف مرافق الحياة.

كان أكبر انقلاب أحدثه الدين الاسلامى أنه أحدث وحدة بين مجالين كانا يعتبران متوازيين ، وهو الزهد و التقشف ، و السلطة ، و الحكم ، و قد أنجب التاريخ الاسلامى حكاماً يسيطرون على امبراطوريات عظمى وهم زهاد فى حياتهم ، يعيشون بكسب يدهم ، و بذكر الله تخشع قلوبهم ، و قد كانت هذه الوحدة منقطعة النظير ، و يحمل التاريخ أمثلة عديدة لمثل هؤلاء الحكام الزهاد ، و الزهاد الحكام .

و أحدث الدين وحدة بين الفقر و الغنى ، وهى وحدة لا نظير لها فى التاريخ ، أى غنى فقير ، و فقير غنى ، و أمثال هؤلاء الأغنياء الفقراء و الفقراء الأغنياء كثيرة فى التاريخ الاسلامى .

و أحدث الدين الاسلامى انقلابا آخر كان فى خير الانسانية وهو إحداث وحدة بين العلم و بين نفى العلم ، فقد أزال غرور العلم و كبرياء العلم ، بقوله و « ما أوتيتم من العلم إلا قليلا » فقد سمع كثير من أقطاب العلم يقولون : لا أدرى ، و فتح هذا التصور باب العلم و الاستزادة من العلم ، و إكرام العلم و العلماء .

إن الذى يعتز بهذا الدين ، جدير بالاعتزاز ، وهو مصدر العزة و الكرامة لمن ينتسب إليه ، و يختاره لنفسه .

هذا هو الدين الذى غلب ، و غلب من اعتصم بعراه ، و لزم تعاليمه ، و اتخذه نبراساً للحياة ، فكان ما يتميز به هذا الدين ، تتميز به حياة المسلم عن حياة غيره ، فكان يؤمى إلى المسلم بالنظر إلى ملبسه و مأكله ، و سلوكه ، وخلقه ، فى غضبه و هدوئه ، و فى انقياده و طاعته ، و فى أخذ حقه ، و مطالبته ، فى حكمه ، و سلطته ، و فى فقره ، و خشوعه ، كان فى كل أمر يختلف عن غيره ، اختلافاً كاختلاف دينه عن الأديان الأخرى ، فكان له وزن و قوة .

البقية على ص / ١٠٠

رجل فقـــدناه :

فضيلة الشيخ أبى الليث الندوى فى ذمة الله

سعيد الأعظمى

تلقت أسرت ندوة العلماء و على رأسها سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى رئيس ندوة العلماء ، نبأ وفاة فضيلة الشيخ أبى الليث الندوى فى جو من الأسف الأسى و بحزن و ألم بالغين ، وذلك يوم الأربعاء ١٦/ جمادى الأولى عام ١٤١١هـ المصادف ٥/ ديسمبر ١٩٩٠م ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

كان الشيخ أبو الليث الندوى يعيش منذ مدة قصيرة فى قريته التى تسمى بـ « شاند پاتى » بمديرية أعظم كره الهند ، و كان قد عاد إليها من مقر عمله فى المركز الرئيسى للجماعة الاسلامة فى دلهى ، بقصد الاستجمام ، نظراً إلى ضعف صحته ، و لكنه أصيب بنوية قلبية عنيفة قبل وفاته بيوم ، و فور ذلك نقل إلى مستشفى بمدينة أعظم كره حيث وضع فى رقابة الأطباء البارعين ، و رغم العناية البالغة بعلاجه لم تتحسن حالته و لحق بالرفيق الأعلى فى اليوم التالى .

و قد كان لنبأ وفاته أثر عميق فى أوساط العلم و الدين و الدعوة الاسلامية كلها وفى الأوساط الثقافية فى جميع أنحاء الهند ، فقد عرف فيها ــ أيام قيامه بالعمل الاسلامى و شغله منصب أمير الجماعة الاسلاميـــة فى الهند إلى أمد طويل ــ بميزاته العلمية و الدينية و بذكائه و حكمته فى مجال الدعوة الاسلامية ، وقد أحبه الناس لتواضعه و دماثة خلقه ، و لبعده عن المظاهر و مواضع السمعة ، و لعكوفه على العمل الاسلامى فى صمت و جدية .

عرفته أيام قيامه بامارة الجماعة الاسلامية فى عهدها الأول ، و قد كان ذا اهتمام كبير بالدعوة و فى غاية من النشاط ، ذلك فى بداية الخمسينات ، حينما كان

يجرى اتصالات و لقاءات مع الجهات المعنيـة الكبيرة ، و رجال العلم و الدين و السياسة و الاجتماع ، و يدعوهم إلى دراسة برامج الجماعة و تأييد الهدف الذى تتوخاه الجماعة الاسلامية من خلال أعمالها و برامجها، وله فى هذا المجال مواقف مشكورة و خدمات لا ينساها تاريخ الهند الاسلامى .

تخرج من دار العلوم لندوة العلماء بعد ما أتم دراسته الأساسية فى مدرسة الاصلاح بمدينة « سراى مير » بمديرية أعظم كره نفسها » و درس فى جامعة ندوة العلماء فكان يعتبر طالباً نجيباً ، له ميزة بين زملائه ، و قد عرف بوقاره و ذكائه مما رفع مكانته و جعله محبباً لدى أساتذته ، و من بين من استفاد منهم من الأساتذة الكبار فى ندوة العلماء ، العلامـة الدكتور محمد تقى الدين الهلالى المراكشى ، و العلامة المحدث الشيخ حيدر حسن خان ، و لقد تحدث لى استاذى العلامة الهلالى أيام دراستى عنده فى مدينة بغداد فى عام ١٣٧٨هـ — ١٩٥٨م ، عن تلاميذه النجباء فى الندوة وكيف كانوا يتلقون منه دروس البلاغة و الأدب العربى ، فذكر الشيخ أبا الليث الندوى بوجه خاص ، و أخبرنى بأنه كان يعرف بـ « شير محمد » .

بذلك وفق الفقيد المرحوم إلى الجمع بين فكرة ندوة العلماء و تذوق اللغة العربية و دراسة القرآن المتعمقة ، فتخرج عالماً يتذوق اللغة العربيـة و يتأمل فى حقائق و أسرار كتاب الله تعالى ، و قد عرف بهذه الميزة فى أوساط المدارس الاسلامية » فقام بالتدريس و التعليم و الدعوة و التربية الدينية حتى آن للبلاد أن تنقسم شطرين و تستقل من الاستعمار الانجليزى فى عام ١٩٤٧م حينما هاجر كثير من أولى الكفاءات العلمية و الدينية إلى باكستان ، و كان من ضمنهم الأستاذ الكبير أبو الأعلى المودودى أمير الجماعة الاسلاميـة و هنالك وقع الاختيار على فضيلة الشيخ أبى الليث الندوى لامارة الجماعة الاسلامية فى الهند ، و كان ذلك فى ظروف حرجة جداً .

تولى إمارة الجماعة الاسلامية فى مثل هذه الظروف التى كانت تنذر بتشتت شمل الجماعة أو فقدان التوازن فى البرامج و الأعمال على أقل تقدير ، أو تغلب العناصر المتطرفة فى الشئون الادارية، لو لا أن الفقيد كان قد استولى على الوضع بحكمة و تدبير بالغين ، و وضع خطة عملية دقيقة جامعـة للتحركات الدعوية و التربوية للجماعة ، و هنالك ظهر حزمه و عزمه و تدبيره و اكتشف النـاس فيه جوانب مهمة كانت مختفية عليهم . ولا شك فانه أفاد الجماعة بادخال تحسينات عديدة و تقريب أذهان كثيرة إلى أهداف الجماعة .

ولقد أشار إلى هذه الميزة فى الراحل الكريم صديقه مخلص سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الندوى فى كلمة القاها فى حفل تأبين للفقيد عقد فى جامع ندوة العلماء يوم وفاته ، جاء فيها :

« إن أهم خصيصة تميز بها المرحوم فى كل مرحلة دقيقة من مراحل حياته ذكاؤه و سلامة فكره و طبيعته ، فقد تولى منصب إمارة الجماعـة الاسلامية فى ظروف حرجة و فى أيام القلق و الاضطراب ، و هى فترة تقسيم الهند فى عام ١٩٤٧م ، و كان ذلك يعنى المجازفة بكرامة النفس ، و لكن الفقيد - رحمه الله - لم يقم بتنظيم الجماعة من جديد و تأصيل طابعها الدعوى فحسب ، و لكنه عمق جذور الجماعة و وسع نطاقها ، و الجماعة مهما توسع نطاقها و تطورت أعمالها تكون مدينة بخدماته الواسعة و إصلاحاته الجذرية ، و لذلك كانت الجماعة الاسلامية فى الهند بقيادة أميرها المرحوم و فراسته أبرز من غيرها ، و أكثر تميزاً من الجماعة الاسلامية فى باكستان » .

و قد أشاد سماحة الشيخ الندوى بما كان يتميز به فى حياته من التواضع و البساطة فقال : « رغم توليه منصب قيادة الجماعة الاسلامية و إمارتهـا إلى

مدة طويلة لم يحدث أى تغيير فى حياته ، بل ظل قائماً على بساطته المعروفة و تواضعه المألوف ، سواء كان فى أوساط العلماء و الدعاة و المفكرين أو مع زملائه القدامى ، و كان يعتبر ندوة العلماء مدرسته وداره التى كان يزورها كأحد أبنائها ، و يعامل إخوانه الصغار من جماعة المدرسين و الطلاب معاملة الأخ مع إخوانه من غير شعور بالاستعلاء أو التقدم فى السن و العلم ، لم تكن وفاته خسارة للجماعة الاسلامية أو ندوة العلماء فحسب ، بل كانت خسارة الأمة الاسلامية بكاملها » .

و كان لى شرف اللقاء مع الفقيد الكريم فى مناسبات كثيرة ، واستفدت من كتاباته و محاضراته و أحاديثه كلما سنحت الفرصة لذلك ؟ و كلما زرته فى مركز الجماعة الاسلامية بدلهى أو فى جامعة الفلاح بأعظم التى كان مديراً لها فى فترة معلومة ، أحاطنى بالعطف والرعاية ، و لما زرته ذات مرة مع وفد إسلامى فى جامعة الفلاح فرح كثيراً بمرافقتى للوفد ، و رحب بالوفد أحر ترحيب .

ولما صدر العدد الأول لمجلة « البعث الاسلامى » فى عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م أعجب به أيما إعجاب وأرسل تهانيه على إصدار هذه المجلة لمؤسسها ورئيس تحريرها حينذاك سعادة الأستاذ المفكر الاسلامى محمد الحسنى - رحمه الله - وطلب منه أن يسجل اسمه ضمن قائمة المشركين اعتباراً من العدد الأول ، و استمر اشتراكه إلى فترة طويلة ، ثم أرسلت إليه المجلة كأمير للجماعة الاسلامية ، و كان عميق الصلة بقراءتها ، فقد كان يتمتع بذوق أدبى رفيع ، و أسهم بكتاباته فى مجلة « الضياء » التى أصدرها الأستاذ الكبير مسعود الندوى - رحمه الله - فى ندوة العلماء فى عام ١٣٥١هـ ، و كان عضو المجلس التنفيذى لندوة العلماء إلى آخر حياته ، و هكذا كانت صلته رغم مسئولياته الكثيرة وطيدة بندوة العلماء التى كان يعتبرها بمثابة الأم الحنون .

لقد ذهب الراحل الكريم إلى جوار ربه و خلف وراءه قائمة طويلة من أعماله وخدماته و ميزاته الكثيرة ، و جماعة من تلاميذه و المعجبين به ، وقدم إليه أصحابه و تلاميذه و إخوانه و محبوه فى كل مكان ضريبة الحب و الوفاء ببيان محاسنه و عد مفاخره و بتبادل التعازى فيما بينهم .

ندعو الله سبحانه و تعالى أن يتقبل حسناته و يغفر زلاته و يتغمده برحمته و يسكنه فسيح جناته ، و يلهم أهله و أصحابه و ذويه الصبر و السلوان فانه سميع مجيب قريب .

الشيخ محمد محسن أحمد الندوى فى ذمة الله تعالى

نعت الأنباء الواردة من ولاية بهار فضيلة الشيخ محمد محسن أحمد الندوى الذى و افاه الأجل يوم ١٥ — من شهر جمادى الأولى ١٤١١هـ الموافق ٤/ديسبر ١٩٩٠م ، بعد مرض السكر الذى أصيب به منذ مدة ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

لقد كان المرحوم الشيخ محسن من طلائع المتخرجين من ندوة العلماء فى أوائل الخمسينات ، و كان ذا اهتمام و اجتهاد فى أيام دراسته ، و كان من الطلاب البارزين فى الوسط التعليمى ، اختير مديراً لاتحاد الطلاب (جمعية الاصلاح) فقام باصلاحات جيدة فى أقسامه المختلفة ، قام بالتدريس فى إحدى مدارس ولايته إلى مدة طويلة و تميز بالصلاح و النزاهة و التواضع ، و كان شديد الاعجاب بفكرة ندوة العلماء ، فأرسل أبناءه إليها للدراسة وتلقى العلم ، و إن نجله الكبير الأخ محمد شبير عالم الندوى قريب الصلة بندوة العلماء و رجالها .

غفر الله له و تقبل حسناته ، و أدخله فسيح جناته ، و ألهم الجميع الصبر و السلوة .

نفى خبر نشر فى « الأهرام »

بعث إلينا سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله تعالى الخبر التالى للنشر فى المجلة ، و هو يشمل نفياً لخبر نشر فى صحيفة **الأهرام** المصرية و نسب إلى سماحته :

تكذيب خبر نشر فى صحيفة **الأهرام** الصادرة فى ١٤١١/٢/١٨هـ .

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و آله وصحبه .

أما بعد : فقد اطلعت على ما نشرته صحيفة **الأهرام** الصادرة فى ١٨/ ٢/ ١٤١١هـ نقلا عن معالى وزير الأوقاف المصرى بأننى أفتيت بجواز التعامل مع البنوك بالفوائد من أجل الضرورة . . اهـ المقصود .

و من أجل إيضاح الحق للقراء و غيرهم أعلن أن هذا النقل لا صحة له ، و قد صدرت منى فتاوى كثيرة نشرت فى الصحف المحلية و غيرها بتحريم الفوائد البنكية المعروفة ، لأن الأدلة الشرعية من الكتاب و السنة قد دلت على ذلك ، و حسبنا الله ونعم الوكيل و نسأل الله أن يوفق المسلمين جميعاً لكل ما يوافق شرعه المطهر و يعيذهم من أسباب غضبه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد و آله وصحبه .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام
لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة
والرئيس العام لادارات البحوث العلمية و الافتاء و الدعوة و الرشاد فى المملكة العربية السعودية

رسالة حول قضية المسجد البابرى

طلب المسئولون عن جمعية الاصلاح و التوجيه الاجتماعى فى « دبئ » بدولة الامارات العربية المتحدة ، بعث الرسالة التالية إلى فخامة رئيس الوزراء الهندى ، حول قضية المسجد البابرى من قبل المسلمين فى كل مكان .

احتجاجاً على تعدى فئة من الهندوس على حرمات المسلمين فى الهند و تهديدهم بهدم المسجد البابرى ، و دعماً لمواقف المسلمين فى الهند وحثاً للسلطات الهندية على اتخاذ الموقف الايجابى فى الدفاع عن حقوق المسلمين المواطنين فى الهند ، وهى كالتالى :

فخامة رئيس الوزراء الهندى :

تحية طيبة و بعد :

إن المسلمين فى دولة الامارات العربية المتحدة و عموم العالم الاسلامى يتابعون باهتمام بالغ محاولة هدم « مسجد بابرى » فى مدينة أيودهيا فى الهند ، من قبل أقلية من المتطرفين الهندوس .

و نحن إذ نقدر الخطوات التى اتخذتها السلطات الهندية فى هذه القضية لنأمل أن لا ترددوا فى اتخاذ الخطوات المماثلة فى حال تعرض حقوق المسلمين الأخرى للتهديد فى المستقبل .

إننا متأكدون من الضرر الذى سوف تلحقه مثل هذه الأفعال الوحشية و التى تصدر من قبل قلة من المتطرفين ، على العلاقات الهندية العربية والاسلامية ، حيث إن هذا الضرر يمكن أن يتسع خصوصاً فى تأثيراته العامة على الأمة

الاسلامية . و يهدد علاقاتها مع الهند و يهز صورة الصداقة و الاحترام التى تتمتع بها الهند مع العالم الاسلامى فى الوقت الحاضر .

و فى الختام نحن على ثقة من أن الحكومة الهندية ستبقى مستهدية بالقيم الأخلاقية و الانسانية و الديمقراطية التى تضمنها دستوركم .

وتقبلوا تحية .

بقية المنشور على الصفحة ٩٢ :

لقد تغيرت حياة المسلم اليوم، فهو ينتسب إلى هذا الدين ، المتميز ، لكنه فى كل أمر من أمور الحياة يختلف عن ما يطالب به دينه و ينضم إلى كل فكر و عمل و منهج يختلف عن دينه لحل مشاكله، و لقضاء حياته . حتى فى الدعوة ، و الجهاد يتبع خطى أعداء الدعوة و الجهاد ، فلا تخلو دعوته إلى الله من الشوائب ، فأصبحت دعوته كالدعوات المعاصرة ، و الوسائل التى يختارها كوسائل الدعاة المعاصرين إلى الأفكار الباطلة ، و يقتدى فى إنجاز أعماله بالزعماء و القادة الذين لاخلاق لهم ، ولا نصيب لهم من الدين .

وأغرب من ذلك أن المسلم اليوم يلتمس حل مشاكله التى غرسها أعداؤه و إزالة الأشواك فى سبيل حياته التى وضعها أعداؤه فى محافل الأعداء و بوسائل يقترحها الأعداء ، إنه لمنطق غريب ، بل هو نكران للجميل ، و عقوق لا يغفر له، و ذلك الانحراف و العقوق أكبر سبب لما يواجه المسلمون اليوم من مشاكل و نكبات ، و من الذلة و المسكنة .

العدد القادم

يبتدئ به المجلد السادس و الثلاثون ، إن شاء الله تعالى — و سيصدر بعد فترة شهر — بمشيئة الله تعالى — و سيكون عدد رمضان ١٤١١هـ الموافق شهرى (مارس ابريل ١٩٩١م) [التحرير]

☎ 72386 — 73864

REGD No. LW/NP 59

ALBAAS-EL-ISLAMI

صدر حديثاً :

أبو الحسن علي الحسني الندوي

كيف يستعيد العرب مكانتهم اللائقة بهم؟

وكيف يحافظون عليها؟

الناشر :

دار عرفات للتربية ، و النشر و التوزيع

دارة الشيخ علم الله ، رائى بريلى (الهند)

قام بالنشر و التوزيع جميل أحمد الندوى من مؤسسة الصحافة و النشر ندوة العلماء

رئيس التحرير : سعيد الأعظمى